الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
... القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
الثقافة والارشاد القومى

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٦٦ الخميس ٨ صفر ١٣٨٤ هـ – ١٨ يونية ١٩٦٤ م – السنة الحادية والعشرون

الفهرس

أمريكا غاضبة

للدكتور محمد احمد خلف الله

أمريكا غاضبة على العرب .

غاضبة عليهم لانهم فى عرفها لم يقدروا الجميل الذى صنعته بهم ، والمعروف الذى أسدته اليهم .

لقد رمت باسرائيل فى أحضانهم ، ومكنت لها من أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأعانتها على استغلال مواردهم وخيرات بلادهم . وكان من المفروض أن يقدروا كل هذا الذى قامت به أمريكا ، وأن يستقبلوا اسرائيل استقبال الفتاة الماكر اللعوب ، وان يتغزلوا فيها كما تفعل أمريكا سواء بسواء ولكنهم لم يفعلوا ذلك ، وراحوا يناصبونها العداوة والبغضاء ، ومن هنا كانت غضبة أمريكا .

وأمريكا غاضبة على العرب :

غاضبة عليهم لانها أرادت بهم خيرا حين ذهبت الى أن السلام يجب أن يسود المنطقة .

وسيادة السلام فى المنطقة لاتكون فى عرف أمريكا الا اذا خضع العرب لامريكا ، واذعن العرب لما تريد أمريكا ، واستسلم العرب وسلموا بالامر الواقع وهو مقام اسرائيل ببلادهم وديارهم

لقد ارادت أمريكا الخير للعرب حين حاولت أن تنتقل بالمسالة الفلسطينية من كونها مشكلة سياسية الى كونها مشكلة اجتماعية .

لقد أرادت أمريكا للعرب أن يفكروا فى مشكلة

اللاجئين بدلا من أن يفكروا في مشكلة الوطن الذى اغتصبته اسرائيل بمساعدة الدول الاستعمارية . ثم مدت لهم يد المساعدة فى حل مشكلة اللاجئين ، وقبضت يدها عنهم فى حد مشكلة الوطن السليب.

لقد قدرت أمريكا أن تعين الظالم ، وان تطلب من المظلوم الرضوخ والاستكانة حتى لا يتعكر صفو السلام فى هذه المنطقة .

وحين نفر العرب من كل ما أرادت أمريكا وقدرت غضبت أمريكا وتوعدت العرب بأن تكون الى جانب اسرائيل .

وأمريكا غاضبة على العرب

غاضبة عليهم لانها فى عرفهم قد اقامت دولة فى اوطانهم لتحل محل الاستعمار فى كل ما كان يقوم به من عمل .

انهـا دولة تستغل خيرات البلاد التى اعجز الاستعمار العرب عن استغلالها فتقيم من المؤسسات ما تشاء ، وتسيطر على الاقتصاد العربى ما تريد ، وما تريد لها أمريكا والاستعمار ، وكان على العرب فى عرف أمريكا أن يحمدوا الله الذى ساق لهم اسرائيل لتفعل بهم ما يفعل اليهود بالامريكان فى الميادين السياسية والاقتصادية . ولكن العرب لم يحمدوا الله على هذا المكروه . وانما قاموا بالمقاطعة الاقتصادية ، وكبدوا أمريكا الشىء الكثير من المساعدات لتوازن اسرائيل بين دخلها وخرجها .

وحين قام العرب باستغلال مواردهم المعدنية والمائية من داخل حدود بلادهم الدولية قامت اسرائيل تصرخ وتستغيث ولبت أمريكا صرختها ، وهددت وتوعدت

وامريكا غاضبة على العرب .

غاضبة عليهم لانهم يعملون جادين فى سبيل التخلص من ذلك اللقيط الذى التقطه الاستعمار من الميادين العامة والقى به فى ملجا الامة العربية .

ان العرب انما يجاهدون فى سبيل اخراج هذا اللقيط من بلادهم ، والقذف به الى الميادين العامة التى تجد فى ايواء اللقطاء لذة أى لذة .

ان العرب انما يخرجون الكيان الفلسطينى الى حيز الوجود ، ويخرجون منظمة التحرير الى حيز الوجود ، ويمدون الفلسطينيين بكل ما هم فى حاجة اليه من مال وعتاد. وهذا الذى يقض مضجع اسرائيل، ويزعج الامريكان .

ان أمريكا قلقة منزعجة من أجل اسرائيل ، ولم يصبها القلق أبدا من أجل العرب . وان أمريكا تمد اسرائيل بكل ما تحتاجه من عدة وعدد ، ولم تفكر أبدا بمد العرب . وان أمريكا ستدخل المعركة الى جانب اسرائيل الظالمة ولم تفكر أبدا فى أن تكون الى جانب المظلومين من العرب .

ترى لماذا لا تدرك الموقف الامريكى على حقيقته ؟

ترى لماذا لا نناصب امريكا العداوة كما تناصبنا هى العداء ؟

ان امريكا تفعل فى الجزائر مثل ما تفعل فى اسرائيل . انها هناك تناصب القومية العربية ، وتناصب الفكرة الاشتراكية العداوة والبغضاء .

انها هنا تمد اسرائيل بالمال والعتاد ، وهناك تمد الخارجين على الدولة بالمال والعتاد .

ان الموقف أصبح غير محتمل فاما أن تعيد أمريكا النظر فى موقفها منا ، وتفكر فى القيم الانسانية الخالدة قبل تفكيرها فى المصالح والأغراض والشهوات والا ناصبناها هى الأخرى العداء .

ان المقاطعة السياسية مع أمريكا والشركات الامريكية هى السبيل الوحيدة التى تدفع أمريكا الى أن تتوب الى رشدها ، وتغير من سياستها تجاهنا .

لقد قالوا بان امريكا تحب الحرية ، وانها جسدتها فى تمثال مقام باحدى عواصمها الكبرى هو تمثال الحرية .

فهل يا ترى تحب أمريكا الحرية للناس أجمعين أو هى تحبها فقط لمن يدور فى فلكها ؟ .

وانهم ليقولون بأن أمريكا تضيق ذرعا بتلك السياسة التى تنتهجها حكومة جنوب أفريقية بشأن التفرقة العنصرية .

فهل يا ترى تضيق أمريكا ذرعا بنفسها من مسلكها تجاه الملونين من أبنائها ، أو أن هذا الضيق ينصب فقط على حكومة جنوب افريقية ؟ .

ان مواقف أمريكا تشير دائما الى أنها ــ وهى التى تفسح المجال لهيئات الأمم فى بلادها ــ لا تقف أبدا الى جانب الحق والعدل وانما تقف الى جانب المصلحة، ولا تعرف أبدا القيم الانسانية الخالدة وانما تعرف فقط الهوى والغرض .

فمتى تتوب أمريكا الى رشدها ؟ .

ومتى تضرب المثل على أنها حقا زعيمة العالم الحر ــ العالم الذى تسوده القيم الانسانية الخالدة ، قيم الحق والعدل ، وقيم الخير والجمال ؟ .

دكتور
محمد أحمد خلف الله

الرق والتسرى في الاسلام

رد على رد

بقلم محمد محمد المدنى

١ ـ لا أدرى من أين أخذ صديقى العلامة الدكتور على عبد الواحد وافى من مقال الذى نشرته فى الرسالة أننى أقول بعدم مشروعية التسرى فى الاسلام ؟ حتى أجهد نفسه فى اثبات هذه المشروعية بالاستدلال عليها من الكتاب والسنة والاجماع ، ثم اجهد نفسه فى بيان حكمتها وفلسفتها حتى لا يتبادر الى ذهن أحد ما تبادر الى ذهنى فى شأنها ؟ .

ان كل ما قلته هو أن المفسرين والفقهاء قد فهموا من قوله تعالى : « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم » ، أن من خاف عدم العدل بين الزوجات ، فعليه الاقتصار على واحدة حرة ، أو ما ملكت يمينه من الاماء يتخذهن سرارى يعاشرهن معاشرة الازواج ، وأنهم يستنبطون من ذلك انه لا يشترط الوقوف عند عدد معين فى التسرى بالمملوكات ، فمن شاء تسرى من المملوكات بأى عدد ، لأن الله تعالى حين قال « أو ما ملكت أيمانكم » لم يقيد بأى عدد ، ولأنه سوى فى السهولة بين الحرة الواحدة ، وبين السرارى من غير حصر ـ وذلك لقلة تبعتهن ، وخفة مئونتهن وعدم وجوب القسم لهن .

ثم نقدت هذا الرأى ، لا من جهة القول بمشروعية التسرى ولكن من جهة القول باطلاق العدد دون حد ، وتقرير أن العدد ـ مهما كان كبيرا ـ من الأماء ، يساوى الحرة الواحدة فى السهولة ، بل هو فى نظرهم أقل تبعيات ، وأخف مئونات من الحرة الواحدة .

وقلت : ان الاسلام ليس هو الدين الذى يختلف عدله باختلاف الناس ، وتفاوت مراكزهم الاجتماعية ، فيعطى الأحرار من المزايا التى تتصل بما تقتضيه الطبيعة الآدمية مالا يعطيه للأرقاء، حين كان الرق مستباحا .

لأنفسهم بمقتضى هذا الفهم أن يحشدوا فى قصورهم المئات من النساء الجميلات الشابات الرائعات الحسن الممتلئات صحة وصبا ، باسم الاماء أو الجوارى ، ولا شك أن الرجل الواحد لا يستطيع أن يحقق الرغبات الطبيعية لهذا العدد الضخم من الفتيات الشابات، فلا بد أن تكون العاقبة هى الفجور والفسق والتحايل فى الخفاء على التنفيس والانطلاق من الكبت ، فهل ذلك يتفق مع عدالة الاسلام ، وفطرية احكامه ، وحرصه على نقاء الاغراض وطهارتها ؟.

ثم نقدت هذا التفسير المشهور بنقد فنى موضوعى ، فقلت :

ان الآية الكريمة تقول « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم» ، فلو فسرنا ما ملكت الايمان بالتسرى ـ كما يرى جمهور المفسرين ـ لأدى ذلك الى معنى غير مقصود بالاجماع .

بيان ذلك : أن من خاف عدم العدل بين اثنتين وجب عليه الاقتصار على واحدة ، ومن خاف عدم العدل بين ثلاث وجب عليه الاقتصار على اثنتين ، ومن خاف عدم العدل بين أربع وجب عليه الاقتصار على ثلاث ، فاذا اقتصرت الآية على قوله تعالى : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » ، كانت دلالة على حكم صورة واحدة من الصور التى ذكرناها ، فيكون لفظها غير مفيد للحكم فى كل الصور ، ولكن اذا فسرنا قوله تعالى : « أو ما ملكت أيمانكم » بمعنى ما استطعتم العدل بينهن ، أو ما قدرتم على العدل فيه ، كانت الآية شاملة لكل الصور ، مبينة لجميع الأحكام .

وقد بينت أن هذا التعبير عن الاستطاعة او القدرة تعبير معروف ، وضربت له الأمثلة ، ولم أنس ، ولم أحب أن ينسى القارىء أن الكلام انما هو فى هذه الآية بالذات ، وأن التعبير بما ملكت الايمان أو اليمين فى القرآن مشهور بمعنى الرقيق من عبيد

واماء ، مثل قوله تعالى « الا على ازواجهم او ماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين » ، « انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك » الى غير ذلك ، بل صرحت : بانى لست أنكر أن هذا المعنى هو الأشهر في استعمال القرآن ، ولكن المعنى الذي ذكرته هو الأنسب لآية التعدد لما بينته ، ولم يقل أحد انه يجب حمل العبارة الواحدة في القرآن على معناها المراد في أكثر المواضع ، فقد يأتى اللفظ بمعنى في بعض المواضع ، وبمعنى آخر في مواضع أخرى .

٢ ـ وواضح من هذا الذي ذكرته ، أن الأمر ليس أمر مشروعية التسرى ، فان هذه المشروعية لم يتعرض لها في هذا الكلام ، بل سلمت ومثل لها بالآيات الدالة عليها ، وذكر أن المراد بملك اليمين في أكثر الآيات هو الرقيق من عبيد واماء .

ولذلك عجبت ، ومازلت أعجب ، من قول الدكتور العلامة على عبد الواحد وافى ـ وهو رجل أجله وأعرف قدره : ـ

« واما أن الشرع يأبى هذا الرأى ، فذلك أن الذي جنح اليه يريد أن يجعل الآية دالة على أن الاتصال بالاماء لا يجوز الا بعقد نكاح ، وبالشروط نفسها التي تجب مراعاتها في الحرائر فيما يتعلق بالعدد والعدل بين الزوجات ، أى أن الاسلام لا يجيز التسرى كما فهمه الفقهاء والمفسرون ، وهو اتصال المولى بجواريه ، مع ان التسرى بهذا المعنى جائز في الاسلام بالكتاب والسنة والاجماع » .

يقول الدكتور هذا وهو ينقد المذهب الأول الذي ذكره الآلوسى واستبعده ، ثم بقوله في نقد رأيى أيضا .

وأنا أقول له : ان تفسير آية ما بمعنى من المعانى لا يصحّ أن يتخذ دليلا على أن المفسر لها بهذا المعنى ، ينكر معنى آخر مرادا في غيرها ، فما بالك اذا صرح بقبوله المعنى الآخر في الآيات الأخرى واعتباره هو الأكثر دورانا في القرآن .

٣ ـ وتعرض الدكتور العلامة أيضا لنقد المذهب الذي ذكره الآلوسى ، والرأى الذي ذهبت اليه ، من الناحية اللغوية .

● فقرر أن الآية على المذهب الأول تكون في غاية الركاكة من ناحيتى الدلالة والتركيب معا : فمن ناحية التركيب يكون ثمة فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بشروط مسلطة عليهما معا لا على المعطوف عليه وحده .

ونحن نقول له : ان هذا فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بغير أجنبى عن الكلام ، اذ القيود المذكورة من صميم الكلام ، وهى شروط في الحكم ، والمعطوف عليه ـ وهو العمدة ـ أولى بأن تذكر في جانبه ، ثم يأتى المعطوف فيأخذ حكم ما قبله بالتبعية له .

وقد جاء الفصل بين المتعاطفات لتوفية كل منها حق معناه المراد في غير هذا الموضع من القرآن الكريم ، ومن ذلك المتعاطفات الواردة في قوله تعالى « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » الى قوله « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا» فبعد ان الحق بهذا المعطوف كل ما يتصل به على هذه الافاضة ، قال : « والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما » فأتى بمعطوف جديد بعد هذا الفصل الطويل ، واذن فلا مانع من هذا الفصل الذي جاء في آية التعدد ، لأنه فصل بمتصل في المعنى يقتضيه الكلام .

واذن فالحكم بأن هذا التفسير يجعل الكلام في غاية الركاكة ، وخارجا على الأساليب السليمة ، وأنه لو ورد في حديث متحدث عادى مع قصد المعنى الذي قصده ، لوصف هذا المتحدث بالعى والفهاهة والاضطراب .. الى آخر ما ذكره الدكتور ، حكم غير مقبول .

وكذلك ما ذكره من أن عطف « ما ملكت أيمانكم » على النساء يقتضى أن الاماء شىء آخر غير النساء ، أى من فصيلة أخرى غير فصيلة الآدميين ، فانه يعرف من غير شك أن البليغ قد يعبر باللفظ العام مريدا به الخاص لنكتة بلاغية ، وقد ذكرت الآية

النساء مريدة بهن الحرائر بدليل عطف الاماء ، وذلك لتوحي بأن التزوج من الحرائر يجب أن يقصد أولا ، ثم يأتي الزواج من الاماء في المرتبة الثانية ، كما صرحت بذلك الآية الأخرى : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » .

● وقرر الدكتور أن اللغة أيضا تأبى التفسير الثاني ، (لان عبارة « ما ملكت اليمين » حينما تذكر في سياق شئون الرجال والأحكام الخاصة بالأحرار والعبيد يراد منها دائما الاماء بوجه خاص أو الرقيق على العموم ، كما هو الشأن في هذه الآية وغيرها من الآيات التي وردت فيها العبارة في هذا السياق) .

وأقول له : ان العبارة ليست من باب الحقيقة ، والحكم فيهـا انما هو للقرائن الدالة على المراد ، فالقرائن التي ذكرناها دالة على انه ليس المـراد بما ملكت ايمانكم في آية التعدد الاماء لاقتضائه قصور الآية عن افادة الحكم الشامل ، ولأنه يخالف روح الاسلام العادل يجعل الحشد الحاشد من الاماء أقل مئونة وأخف تبعات من حرة واحدة ، أما في الآيات الأخرى فالقرائن تدل على ان المراد بما ملكت الأيمان الاماء ، مثل قوله تعالى : « انا أحللنا لك ازواجك اللاتي آتيت أجـورهن وما ملكت يمينـك مما أفاء الله عليك » فواضح ان القرآن يتحدث في هذه الآية عن نوعين من النســاء : الأزواج اللاتي دفع لهن الصداق ، والاماء اللاتي ملكن من الفيء .

ولذلك رأينا أن يحمل اللفظ هنا على الاماء بدلالة هذه القرينة ، وهناك على معنى ما استطعتم العدل بينهن من المثنى والثلاث والرباع .

وأحب أن أقول للدكتور الفاضل زيادة على ذلك : ان التعبير في آية التعدد بلفظ « أو » حيث قال « أو ما ملـكت أيمانكم » يســـاعد على فهمنا الذي فهمناه ، فان الآية تريد أن تعطي أحكام الصـور المتوقعة لمن خاف عدم العـدل ، فلا يمكن ان تكتفي بقولها « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » والا كان المعنى : ان من خاف عدم العدل بين اثنتين ، ومن خاف عدم العدل بين ثلاث ، ومن خاف عدم العدل بين أربع ، كلهم سواء في الحكم يجب عليهم الاقتصار على واحدة ، وذلك غير مراد اجماعا كما قلنا ، وليس من البلاغة أن يؤتى بهذا الحكم على وجه التفصـيل فيقال : فمن خاف عدم العدل بين أربع فليقتصر على ثلاث ، ومن خاف عدم العدل بين ثلاث فليقتصر على اثنتين ، ولذلك قالت الآية : فواحـدة أو ما ملكت أيمانكم ـ أي ما استطعتم ـ لتدل على هذا التفصيل في أوجز عبارة .

أما اذا فسرنا ما ملكت أيمانكم بما فسرها به جهور المفسرين فان العطف حينئذ ينبغي الا يكون « باو » وانمـا يكون بالواو ، والا لكـان المعنى : فان خفتم الا تعدلوا فانتم بالخيار بين واحدة حرة ، وأمة أو اماء ، مع أن المعنى المقصود عند المفسرين : فاقتصروا على واحدة بالنكاح من الحرائر ، وضموا اليها بملك اليمين ما تريدون ، فالمعنى يقتضي الواو ، لا « أو » .

٤ ـ بعد هذا يقول الدكتور « بقي أن نبين الموقف الصحيح للاســلام حيال نظام التسري ، والأهداف السامية التي رمى اليها من وراء موقفه هذا ، حتى يظهر **للأستاذ المدني** أن اباحة الاسلام للتسري لا تنطوي ـ كما تبادر الى ذهنه والى أذهان كثيرين ممن عرضوا لهذا الموضوع من المستشرقين ـ على اهدار لآدمية الاماء ، ولا على تيسـير لانطلاق الغرائز الحيـوانية من عقالهـا ، وتحريرها من القيود التي قيدتها بها الحضارة .. الخ .. » .

واني لأعجب : كيف ساغ للدكتور أن يتصور في مثلي أنه يجهل موقف الاسلام من الرق ، وأنه هو موقف المعترف به ، ولـكن على أن يصفيه ويقضي عليه دون ضجة ولا رجة ؟ .

ان هذا الذي ذكرته يا دكتور في شـأن الرق معروف مشـهور ، وقد كتبته عدة مرات في كتبي ومقالاتي وأحاديثي ، كما كتبته أنت أيضا وأحسنت في كتابته وأجدت .

ولقد سألت نفسي قبل ذلك سؤالا قبل أن يثار هـذا الحديث ، بل منذ أكثر من سبع سـنوات ، وأجبت عن هذا السؤال يومئذ قبل أن أحظى بالدرس الأخـير الذي تفضلت بالافاضـة فيه على صفحات الرسالة : قلت في كتابي (المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء ـ ص ٢٨١ طبعة أولى) :

« فان قال قائل : ما فائدة هذا ، وقد ثبت أنه يجوز التسري بالاماء في غير آية من القرآن الكريم ،

وبفعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه والمسلمين من بعدهم ، فهل ينكر ذلك أحد ؟ .

فالجواب : معاذ الله أن ننكر ذلك ، ولكننا نريد أن نقرر أن آية النساء بهذا الرأى تكون متفقة مع موقف القرآن الكريم فى مسألة الرق ، واتخاذ الاماء سرارى ، فانه ليس فى القرآن الكريم أمر واحد بالاسترقاق ولا بالتسرى ، وكل ما هنالك أنه سكت عن فعل المسلمين ذلك ، ورتب الآثار الحكمية على أساس أنه أمر واقع فعلا ، لا على أنه شىء مأمور به ولو على سبيل التخيير .

بيان ذلك : أن القرآن يتحدث عما ملكت الايمان فى نحو خمسة عشر موضعا ، فلا يقول أكثر من « ملكت ايمانكم » أو « ما ملكت يمينك » أو « ما ملكت ايمانهن » .

نعم قد عبر فى بعض الآيات بقوله تعالى « والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم ، فانهم غير ملومين » ولكن هذا لم يزد عن كونه نفيا للوم عنهم ، ملاحظة لأنهم على واقع فعلى تقضى الحكمة بمسايرته حتى يغير .

كل ذلك كما ترى يحدث عن الواقع ، وليس فيه تعرض قولى للامر به ، واقول : ليس فيه تعرض قولى ، لأنى اعلم أن السكوت عليه ، او الحديث عنه كواقع يستلزم اقراره ، وأنا لا اعارض ذلك ، بل أقرر أنه يستلزم هذا الاقرار ، ولكنه اقرار لا عموم له ، لا فى كل الاحوال ، ولا فى كل الأزمان، فان من الجائز أن يكون هذا الاقرار السكوتى ملاحظا فيه ظروف خاصة يومئذ ، والدلائل تدل على ذلك ، فقد كان العالم كله معترفا بالرق ، وكان التعامل العام قائما على الاعتراف به ، فلم يكن من صالح المسلمين يومئذ أن يبطلوا هذا اللون من التعامل العام دفعة واحدة،وأن ينفردوا هم عن العالم بذلك ، فلا يعاملوا أعداءهم بالمثل ، فيتخذوا الاسرى ارقاء كغيرهم من الامم ، فقضت الحكمة الالهية بأن يتدرج فى هذا الالغاء ، ورسمت لذلك خطة محكمة تقوم على التضييق فى مداخله ، والتوسيع فى مخارجه .

ولا ينبغى أن يؤخذ الاسلام بفعل المسلمين فيما بعد حينما كان الاسترقاق خارجا على هذه الخطة ، أو كان الخلفاء من أمويين وعباسيين وغيرهم من الاغنياء يتخذون السرارى بغير تقيد ، بل بتوسع واسراف ، فان ذلك كله مناف لروح الاسلام ، وان ادخل على النصوص بالآراء والاقوال ، وتاويل الرجال .

والآن وقد اتفق العالم على منع الرق ، فليس فى نصوص الشريعة ما يمنع من مجاراة الدنيا فى هذا الاتفاق الانسانى ، بل ان المسلمين اذا أبوا الا استمراره والتعامل به فيما بينهم ، يكونون قد أساءوا الى أنفسهم ، والى تعاليم شريعتهم ، لقاء التمسك بأمر لم يوجبه الله ، ولم يقره تشريعا دائما ، ولكن كرهه ، وتشوف الى تخليص الناس منه بالحرية ، ورسم الخطة المحكمة التى تعجل بانهائه .

محمد محمد المدنى

الشعر وموسيقاه

للدكتور محمد مندور

يظهر ان الشاعر عبده بدوى لا يزال يظن ان الشعر الجديد خال من الموسيقى اى من الوزن وذلك بالرغم من مئات المقالات وعشرات الكتب التى نشرت لتوضيح موسيقى الشعر الجديد واثبات انها موجودة وان اختلفت عن موسيقى الشعر العربى التقليدى ومن أهم هذه الابحاث واحدثها الكتاب القيم الذى أصدره اخيرا بالمعهد العالى للدراسات العربية الدكتور محمد النويهى بعنوان «قضية الشعر الجديد» .

اقول ذلك لاننى تلقيت من المواطن خميس سلمونه بادكو محافظة البحيرة الخطاب التالى الذى اثبته هنا بعنوانه ونصه :

السيد الاستاذ الكبير الدكتور / محمد مندور

تحية طيبة من الله مباركة وبعد

(وزن الشعر وكوبرى بنها)

ـ فتوى فى قضية ـ

تحت هذا العنوان وبالعدد (٣٩) من الرسالة الغراء كتب الاستاذ عبده بدوى محرر باب (حول الادب فى أسبوع) ما يأتى :

(لا زلت أذكر فى عودتنا من المنصورة ـ هذا الحديث الذى كان يدور بين أديبين قاهريين وكيف ان أولهما كان يردد ان الفلاح البسيط فى حقله حين يغنى لا يرسل ما تحس به نفسه الا موزونا ومقفى وكيف كان الآخر ينكر عملية الوزن والقافية التى تستعصى على كثير من الشعراء المرموقين فاذا بالاديب الاول يأتى بالموال بعد الموال واذا بالثانى لا يملك غير التسليم ، وحين كان يغضب كان الاول يقول (تحب نوزن بره) وتهدأ المناقشة ويمر القطار على كوبرى بنها فاذا بالصديق الذى ينكر الوزن على الشعر الشعبى يردد فى عفوية ذلك الموال الذى يقول :

فايت على كوبرى بنها منديل الحب طرف عينى
ابكى على الحب والا ابكى على عينى
ابكى على الحب لكن سـد يا عينى

ولما كنت قرأت لسيادتكم موضوعا عن الأدب الشعبى بمجلة الرسالة الجديدة ١٩٥٦ وفيه تقول سيادتكم .

« لقد طوفت بين اشعار كثيرة فى مختلف اللغات ومع ذلك لا يزال يشجينى شعر قريتنا الساذج الذى يقول :

دخلت جوه الدرة طرف الدرة عينى
ابكى على الحب والا ابكى على عينى
ابكى على الحب لكن سـد يا عينى

وعلى هذا أرسلت للأستاذ عبده بدوى ذاكرا له ان الاصل هو « دخلت جوه الدرة » ... وليس (فايت على كوبرى) .

وبالعدد (٤٤) من الرسالة رد على الاستاذ عبده بدوى قائلا :ـ

(من الادب الشعبى أن يكون الذى يطرف العين هو (منديل الحب) لا (الدرة) وبخاصة اذا عرفنا ان (المنديل) فى الموال أقرب الى الحديث فى حياتنا عن (الدرة) وأن ما استشهد به (فايت على كوبرى بنها) هو الاصل ثم نقل بعد ذلك الى حالة من الحالات الاجتماعية ، وانا لا أكتمك يا أخى .. انى سمعت فى قريتى الموال خاصا بكوبرى بنها ، ولم اسمعه ولو مرة واحدة خاصا بما ذكرت ، ولعل الدكتور محمد مندور الذى تعرض لهذا الموال من قبل (يفتينا) فى هذه « القضية » ..

هذا ما ذكره الاستاذ عبده بدوى طالبا الفتوى وانا اطلب الاحتكام فى هذه (القضية) كما سماها الاستاذ الفاضل ـ على صفحات الرسالة أو جريدة الجمهورية ان شئت سيادتكم ، ولا شك أن (القضية) وديعة غالية بين ايدى أمينة نزيهة والرأى الأخير لكم .

وتفضلوا مع تحياتى وتقديرى ودمتم لتلميذكم المخلص .

خميس سلمونه

ادكو ـ بحيرة

ولا أريد ان أعود لاذكر الشاعر عبده بدوى ان احدا لم يقل بتحرر الشعر الجديد من الموسيقى أى من الوزن ، واذا كان المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد قد زعم ذلك احيانا فالسبب هو ان الاستاذ العقاد كان يرفض الشعر الجديد كله من حيث المبدأ ولذلك لم يكن يهتم بقراءته او البحث عن موسيقاه ولربما كان فيما ليس خطا احيانا فى الشعر الجديد نثر خال من الوزن او الموسيقى ولكن وجود مثل هذا النثر المشعور أو غير المشعور لايقدح فى وجود شعر حقيقى له وزنه وموسيقاه الخاصة التى تختلف عن الموسيقى او الوزن التقليدى دون ان يعيبه ذلك بل قد يشهد باصالته ، واكتفى فى ذلك بالاحالة على كتاب الدكتور النويهى ففيه كل الغناء .

وأما الشىء الذى أفزعنى حقا فى الخطاب السابق فهو : كيف ان الشاعر عبده بدوى الشديد التمسك بأوزان الشعر العربى التقليدى والذى درس عروض الخليل بن أحمد فى كلية دار العلوم وحفظه عن ظهر قلب ، بل وكتب هو نفسه ونشره فى دواوين لم يحس بأن الرواية التى ذكرها للموال الشعبى المختلف عليه لا يستقيم وزن البيت الاول فيه وفقا لاحكام الخليل ابن أحمد نفسه ، بل ولا فى احساس الاذن الموسيقية السليمة ؟ فالبيت الاول فى روايته يقول :

فايت على كوبرى بنها منديل الحب طرف عينى

وأنا اترك للاستاذ عبده بدوى مهمة تقطيعه الى أوتاد وفواصل ليتبين انه من وزن غير وزن البيتين الأخيرين • كما أن الانتقال منه الى البيتين الأخيرين يجرح الاذن ، وذلك فى حين ان الابيات الثلاثة كما وردت فى روايتى تندرج تحت وزن واحد خليلى معروف هو :

مستفعلن فاعل مستفعلن فعلن

وأظن ان هذه الملاحظة الموسيقية تكفى وحدها لترجيح صحة روايتى لهذا الموال • ولست أدرى كيف تورط الشاعر عبده بدوى فى الرواية الاخرى دون احساس بخللها الموسيقى ؟ !

وأما ما يرجحه الشاعر عبده بدوى « **من ان الأدب الشعبى يرجح ان يكون الذى يطرف العين فيه هو منديل الحب لا الدرة وبخاصة اذا عرفنا ان المنديل فى الموال أقرب الى الحديث فى حياتنا عن الدرة** » فقول مردود بأكمله ، لانه يفسد جمال الموال الشعبى وصوته التلقائى ، فشاعر الشعب يريد أن يقول انه دخل الدرة بحثا عن الحبيبة فطرف الدرة عينه ، واما ابن المدينة الذى يتسكع على كوبرى بنها فاكبر الظن ان منديل الحب لن يمسه بل سيبتعد عنه لرقاعته وكل ذلك فضلا عن أن ابن الشعب لا يتحدث عن «منديل الحب» وانما يتحدث عن «منديل المحبوب» ، وذلك لانه بفطرته الوجدانية التلقائية لايعرف التجريد والحب لا يحرك عاطفته ما لم يتجسد فى المحبوبة ، وفى كل هذا ما يرجح روايتى •

وأما عن ناحية التذوق الفنى فمن الواضح ان الموال كما رويته اجمل وأصدق وأوضح تلقائية منه فى الرواية التى ذكرها الاستاذ عبده بدوى ، فضلا عن استقامة الموسيقى والوزن فى روايتى عنها فى الرواية الاخرى • وكنت أرجو أن تكفى الموسيقى والوزن لحمل الشاعر عبده بدوى على ترجيح روايتى ، وبخاصة فى معرض حديثه عن موسيقى الشعر واوزانه واتهامه الشعر الجديد باغفالهما بينما الشعر الشعبى نفسه يحتفظ بهما •

محمد مندور

بين لقاءين

مع الغزاة الفاتحين

بقلم محمد عبد الغني حسن

من أعجب ماوقعت عليه العين في المطالعات التاريخية لقاءان للفاتح المغتصب ، والغازى المعتدى ، على طرفى نقيض • يكشف أولهما واسبقهما في الحدوث التاريخي عن ميل الى المغامرة السياسية ، والمقامرة في سبيل التقرب الى الفاتح والتزلف اليه والتمهيد عنده لنيل حظوة ، او ادراك منصب كبير ، او تحقيق مطمع كان منية النفس وارب القلب ، ولو كان في بلوغ ذلك مداهنة لاتليق بسلطان العلم ، وملاينة لاتسمو الى اخلاق العلماء • ويكشف الثانى في الوجود عن شجاعة نادرة في القول ، ومجابهة صريحة بالاتهام ، ومحاورة جريئة لا يسلم منها القائل من غضب الفاتح المعتدى ، فيكون فيها حتفه •

وقد تختلف النظرة الى الحادثين اللذين وقع اولهما في مطالع القرن التاسع الهجرى بين العالم المؤرخ ابن خلدون والقائد المغولى التترى تيمورلنك ، ووقع ثانيهما في أوائل العقد الثالث من القرن العاشر الهجرى بين الوالى المصرى « كرتباى » والفاتح العثمانى السلطان سليم •• فقد يقول قائل ان مؤرخنا العالم ابن خلدون كان لبقا أو داهية حين اصطنع مع الفاتح التترى الذى لا يرحم أسلوبا من التلطف والملاينة والمداهنة التى لم يكن منها بد في موقف أوشكت فيه دمشق بل الشام كلها ان تسقط في يد القائد المخرب المدمر ، وقد يقول قائل ان الوالى المصرى الملتهب حماسة ووطنية وذيادا عن حماه الغالى قد أفضت به الشجاعة المتطرفة الى تهور غير محمود ، وفاته أن يلين الكلام في مقام تعد فيه المخاشنة حمقا بالغا ، وجنونا ظاهرا ••

نعم ! قد تختلف النظرة الى موقف الرجلين من معتد اعتدى على حماها العربى الأسلامى ، حتى ولو كان كل من المعتدين مسلما في دينه • فان الفاتح التترى المدمر كان يعتنق الاسلام ولو انه من حفدة جنكيزخان وهولاكو مخرب بغداد ، وكذلك السلطان سليم العثمانى كان مسلم العقيدة ، ولكن أحدا منهما لم يرع حق الأسلام في رعاية الأخوة الأسلامية ، فاندفع تيمورلنك - على مابه من داء في الركبة او علة في الساق - الى مطامع بعيدة وشهوات تسلطية واسعة ، ورغبات توسعية جامحة في توسيع رقعة دولته المغولية التترية ، ولو كان ذلك على حساب الدول العربية الاسلامية التى تتاخمه أو تقع في طريق فتوحاته • واندفع سليم العثمانى في مطامعه البعيدة لجارته ايران الشيعية ولكل دولة تناصرها أو تواليها ولو بعض الولاء •

والعدوان في الموقفين باطل لا أساس له من حق ، ولا سناد له من دين ، ولا دعام له من خلق ، وهنا يستوى تيمورلنك التترى ، وسليم العثمانى في وزر موقف دفعت اليه أطماع كاذبة ، وشهوات جامحة من الفتح والتسلط •

ومن عجب ان مؤرخنا ابن خلدون - على ما كان منه من عبقرية العلم ، وأصالة التاريخ ، وفقه الأحداث ، وتعليل الأمور ، واستقامة المنطق - كان أضعف من أن يقف أمام العدوان المغولى التترى موقف العربى الشجاع الذى لا تخذله في الشدة شجاعة • فلقد كانت غضبة أهل الشام وعلماء الشام والقضاة والفقهاء شديدة على الغازى المعتدى ، وقرروا البقاء في المكافحة ، والثبات على الصراع ، وكان معهم في ذلك الموقف نائب قلعة دمشق الذى صمم على استمرار المقاومة ، حتى لا يمكن التتار من القلعة فانهم اذا ملكوها انهارت حركة المقاومة ، وسقطت القلعة وسقط معها الشام ، وقد يكون وراء ذلك ما يكون من أحداث جسام ، ولكن ابن خلدون كان مع سلطان مصر الناصر فرج حين خرج لملاقاة التتار في الشام سنة ٨٠٣ هـ ، ومن المؤسف انه كان يميل الى طلب الأمان من تيمورلنك ، وكان يحرض العلماء والفقهاء على هذا ، ويحاول اقناعهم بعدم جدوى المقاومة ، وحاول أن يتدلى مع طائفة من العلماء من أسوار قلعة دمشق ونجح في ذلك ، وبلغ هو وفريقه من المتخلفين عن القتال مكان تيمورلنك بين عسكره على بعد غير بعيد من القلعة ، واتفقوا مع الفاتح المعتدى على أن يبدأ من الغد فتح المدينة ، والتصرف في المعاملات ، حقنا للدماء ، وتسكينا للفتن •

وقد يقال ان ابن خلدون كان في هذا محاولا أن يتقى شرا أعظم بشر عظيم ، وان يختار بين أمرين

احلاهما مر ، ولكن الذى تقوله النفس -على مضض- ان ابن خلدون كان ضعيفا متخاذلا فى موقفه هذا ، وانه - حتى على فرض تبرير عمله الصغير هذا بتقدير الموقف - فان الحق ان هذا التقدير لم يكن سليما ، ولا كان مما يتوقع حدوثه من عالم محلل معلل يقيس الحوادث والوقائع بمقياس العقل الصحيح ، والحكم السليم ٠ نعم : لم يكن ابن خلدون سليم التقدير فيما فعل، بدليل أن التتاروزعيمهم تيمورلنك لم يطل بقاؤهم بالشام ، ولم يتقدموا شبرا نحو مصر ، ولم يحققوا مطامعهم ، بل خرجوا مدحورين بعد أن خربوا البلاد وعطلوا مرافق الحياة فيها ٠

واعجب ما فى قصة هذا الموقف الصغير من مؤرخنا العالم الكبير أنه رواه بنفسه فى كتابه الذى ترجم فيه لنفسه ، والذى جعله ذيلا لتاريخه الكبير ٠٠٠ فهو يصف لنا تفاصيل هذا اللقاء بينه وبين تيمورلنك ، وكيف دخل عليه أول الأمر وهو فى خيمته المنصوبة متكئا على مرفقه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه ، يشير بها الى عصب المغول جلوسا امام خيمته حلقا حلقا ٠٠ وكيف طلب منه الفاتح المعتدى أن يكتب له تاريخ بلاد المغرب كلها ، اقاصيها وأدانيها ، وجباله وانهاره وقراه وامصاره ، كانه يشاهدها راى العين ٠٠ ثم يستمر ابن خلدون فيصور لنا كيف (زورت فى نفسى كلاما أخاطبه به ، واتلطف بتعظيم أحواله وملكه ٠٠) وهنا أسرف ابن خلدون فى تزوير الكلام فذكر للمعتدى المغولى أن المنجمين تنبأوا بظهور دولته ، وغلبة مملكته ، واستيلائها على أكثر المعمور ٠٠ وكأنه كان بهذا الكلام الكذب ، والزيف المصطنع يستعديه على بقية بلاد العرب والأسلام ، حتى يستكمل فتحها ، تحقيقا للنبوءة ، التى لا شك أنها كانت من أوهام ابن خلدون المغامر السياسى وتلفيقاته ٠٠

اننا هنا يعز علينا أن نصم مؤرخنا العبقرى بهذه الوصمة التى لم يختلقها عليه أحد ، ولم ينسبها أحد اليه كذبا ، ولكنه هو الذى رواها بقلمه ، وذكرها بنفسه ، ولعله لم يكن فيها عنده من البشاعة والاستفظاع ما يمنع الحياء من ذكرها !! ولكنها زلة للرجل على كل حال ، لا يقبل فيها عذر ، وان كانت شبيهة كل الشبه بزلاته ومؤامراته فى المغرب بين الملوك والأمراء ، ليصل اليهم ، ولو على متون هذه الأشواك المدميات ٠٠

وأين موقف ابن خلدون هذا من موقف الوالى كرتباى الذى كان نائبا عن طومانباى فى أثناء الحملة العثمانية على مصر سنة ٩٢٢ هـ ؟ لقد أثبت كرتباى أنه كان واقفا للمعتدى التركى بالمرصاد ، وانه حاول محاولة المستميت أن يصده عن غايته ، لولا فرق ما كان بين القوتين من وسائل الحرب ٠٠ فقد غلب العثمانيون مصر بالبندق الذى لم يعرفه المصريون ولا رأوه قبل هذا ، وكان هذا البندق - أو الاختراع الجديد - أشد على المصريين واقوى من شجاعتهم التى لا ينكرها منصف ، حتى لقد تنبه الوالى المصرى الأسير كرتباى الى هذا وهو مسوق الى خيمة الفاتح العثمانى المعتدى ، وهو يخاطبه بهذه اللغة :

- اسمع كلامى ، واصغ اليه حتى تعلم انت وغيرك ان منا فرسان المنايا والموت الاحمر ٠ ان معك من العسكر مائتى الف من جميع الأجناس ٠ ولكنهم لا يقاسون بثلاثة منا فى الشجاعة والأقدام ٠ لقد جئت بهذا البندق وبهذه الحيلة التى احتال بها الافرنج لما أن عجزوا عن ملاقاة العساكر الاسلامية :

لقد كان بطل المقاومة المصرية ضد الفاتح المعتدى سليم العثمانى يخاطبه بكل كلمة قاتلة ، وكل لفظة ثقيلة على آذان المعتدين ، حتى كان « خير بك » وبقية وزراء السلطان سليم يطأطئون رءوسهم ويقطر العرق من وجوههم ، وهم صامتون لا ينبسون ٠٠

لقد كانت شجاعة هذا المكافح المصرى شؤما عليه ، فقد كلفته ضرب عنقه ، ووقف أمام السياف وهو يصيح قائلا لهذا المستعمر المتجبر :

- ان قطع راسى وحدى لا يفيدك منه شىء ، فان ورائى أبطالا وشجعانا : ولكنه قتل ، ودخل العثمانيون مصر واستعمروها أكثر من ثلاثة قرون ، ولكنهم اخرجوا منها مدحورين ، وعادت مصر الى المقاومة والكفاح من جديد مع اعداء اخر لكى تنتصر اخيرا انتصارها الباهر فى ثورتها المباركة سنة ١٩٥٢ م ٠

محمد عبد الغنى حسن

اللغة العربية

بين التجديد والتبديد

بقلم عبد الكريم الخطيب

تعرضت اللغة العربية منذ خرجت من موطنها الأول ـ الجزيرة العربية ـ لأكثر من امتحان ، يراد به القضاء عليها أو تضييع معالمها ، أو اخفات صوتها ٠٠ فانها على الرغم من أنها لغة العقيدة الاسلامية التى دان بها كثير من الأمم غير العربية ، فانها مع ذلك لغة الفاتحين الذين شاركوا أهل هذه الأمم ديارهم واموالهم ، وملكوا زمام الأمر فى أوطانهم ٠

وتلقانا هنا حقيقتان : أولاهما أن العرب الفاتحين وان تخلوا عن عصبية الجنس والوطن او تخففوا منهما الى حد بعيد ـ فان تعصبهم للغة العربية قد صحبهم حيث كانوا ، بل ان هذا التعصب قد ازداد حدة وقوة بعد الاسلام ، بما دخل على نفوسهم منه من مشاعر جديدة لهذه اللغة ، فانه بعد ان كان تعصب العربي للغته تعصبا لقوميته وجنسه أصبح هذا التعصب لدينه وعقيدته ، اذ كانت هذه اللغة لغة القرآن ٠٠ كتاب الشريعة الاسلامية ودستورها

والحقيقة الثانية هى أن الشعوب التى دخلت فى الاسلام قد ذهلت عن كثير من مشاعرها الذاتية لمقومات قومياتها : من وطن ، وجنس ، ولغة ٠٠ وغيرها ، وذلك لأول عهدها بالاسلام ، ثم مع الزمن ومع احتكاكها بالعرب تحركت فيها نوازع العصبية لوطنها ، وجنسها ، ولغتها ، وقامت حركات كثيرة هنا وهناك عرفت باسم « الشعوبية » تلقى مفاخر العرب بمثالب تغض من شأنهم ، وتنقص من قدرهم ، وتنال من جنسهم ولغتهم ٠

فهذا التعصب القوى الحاد من جانب العرب والمتعربين من المسلمين للغة العربية كان يقابله تعصب عليها من « الشعوبية » التى ارتضت الاسلام دينا ، ولم ترتض لسانه لغة ، ولكن مع هذا ظلت اللغة العربية مسيطرة غالبة فى أغلب مواطن الاسلام ، وظلت هى اللغة العاملة فى الحياة العقلية ، والروحية والنفسية فى هذه المواطن ، وان قامت الى جانبها فى كل موطن لهجة أو لغة (محلية) يتفاهم بها أهلها الى جانب اللغة العربية ، لغة العلم والفن ، والدين !

ولعل سائلا يسأل : ما بال اللغة العربية يحتفظ لها الاسلام فى رسالته العامة الشاملة بهذه المنزلة ، فيجعلها شعيرة من شعائره ، وشأنا من شئونه ، وهى ـ كأى لغة ـ أداة من أدوات الحياة لجماعة من الناس ، وموطن من الاوطان ؟ فما شأن هذه اللغة بالعقيدة ؟ ولم يحكم عليها هذا الحكم الذى يقضى بأن تتجمد فى قوالبها الأولى التى صبت فيها ؟ وهل يمكن أن تصلح بعد هذا ، أو مع هذا أن تكون لغة صالحة للحياة ، تصحبها وتعيش فيها مع الناس ؟

وهذه الأسئلة جميعها تتوجه الى العقيدة الاسلامية ذاتها ، بل ان هذه الاعتراضات تتوجه الى العقيدة أولا ، ثم الى اللغة ثانيا ٠٠ حيث يعيب العائبون الاسلام بأنه دين جمد على مقرراته الأولى ، التى مضى عليها نحو أربعة عشر قرنا ٠٠ فكيف يصلح عليه أمر الناس وقد قطعت الحياة أشواطا ، وتبدلت معاييرها ، واختلفت ألوانها وطعومها ؟

واذن فالجواب الذى يجاب به عن هذا فى شأن العقيدة هو جواب فى الوقت ذاته عن اللغة العربية ، وما ترمى به من تهم ٠

ونقول ان العقيدة الاسلامية تحمل بين يديها شهادة قائمة قاطعة على أنها رسالة خالدة شاملة ٠٠ وهذه الشهادة هى هذا العمر الطويل الذى قطعته فى الحياة ، فى شباب متجدد وفى قوة متدفقة غالبة ٠٠ فهى ـ بشهادة الواقع ـ تزداد كل يوم اتساعا ، وتكسب أنصارا ، ثم هى متمكنة من نفوس من يتصلون بها ، مخالطة وجدانهم ومشاعرهم ، وهيهات أن يعرف وجهها أحد ثم ينكرها أو يتنكر لها ٠٠ وهذا شأن كل أمر يقوم على الحق ، ويبنى على أسسه ، حيث لا يزداد مع الأيام الا قوة ، ووضاءة ، وألقا ٠٠

وهذه الشهادة تغنينا عن استعراض ما فى الشريعة الاسلامية من مقررات تساوق الحياة الانسانية فى أعدل مستوياتها ، وتتسق مع طبيعة الانسان فى أتم أحوالها وأشرفها ٠٠

فاذا جئنا الى اللغة العربية وجدنا شيئا كهذا او قريبا منه ٠٠ فهناك شهادة قائمة على أن هذه اللغة قد التقى بهـا فى القرآن حين استكملت أسباب خلودها ، واستوفت عناصر بقائها على الزمن فى شباب دائم ، وحيوية متدفقة ناضرة ٠٠ ومنطوق هـذه الشهادة تحدثت به هذه الآثار العظيمة التى خلفتها هـذه اللغة فى الآداب والعلوم ، والفنـون فملأت بها المكتبات فى الشرق والغرب ، ودخلت بها فى ألسنة كثير من الأمم وغذت عقولها ٠٠ ثم هى لا تزال تزداد كل يوم قوة تشهدها الحياة فى هذا الثمر الطيب الوفير الذى تطلع به فى مشارق الغرب ومغاربها ، بما تخرجه المطابع من صحف ، وكتب ، فى مختلف العلوم والفنون ، وبما تنطق به الألسنة فى الاذاعة ، والتلفزيون ، وعلى المسارح ٠٠ من أحاديث ، ومحاضرات ، ومحاورات ٠

وهـذه الشهادة تغنينا أيضا عن أن نتحدث عن خصائص هذه اللغة،وأن نكشف عنمقومات وجودها وخلودها ، اذ أن شهادة الواقع العيان أبلغ وأعظم شهادة !

ولكن مع هذا لابد أن نكشف عن وجه هذه اللغة، وأن نعـرض بعض خصائصها ، اذ أن هناك حملة قائمة فى وجه هذه اللغة الآن ، يحاول فيها أصحاب هـذه الحملة أن يسوءوا وجه اللغة العربية ، وأن يهيجوا الناس عليهـا ، وأن يجلوها عن الألسـنة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ٠٠

وأفراد هذه الحملة هم أولئك الذين خرجوا على الناس هذه الأيام بهذا « المسيخ » الذى يدعونه الشعر الجديد ٠٠ وهو كما عرفناه ليس شعرا ، وليس نثرا ، وليس كلاما له مفاهيم ودلالات ، وانما هو أخلاط من الهذيان ، يجمع بين حشرجة الأموات، وعديد المعددات وصيحات رباب « الزار » ٠

وحديثنا عن اللغة العربية ليس الى هذه الجماعة، اذ أننا نتحدث بلغة لا يعرفونها ، وبلسان لا تستقيم ألسنتهم معه ٠٠ وانما نتحدث الى أبناء اللغة العربية، نحذرهم من أن يخدعوا بهم ، وأن يستمعوا لقولهم ، فان لأهل الضلالات منطقا يزين الباطل ، فينخدع به كثير ، وكم « للمسيخ » من ضحايا لضلاله وبهتانه !

يعرف أبناء اللسان العربى أن لغتهم تنفرد من بين اللغـات كلها بهذا الارتباط الوثيق بينهـا وبين الدين الذى يدينون به ، وهو الاسـلام ٠٠ فهى ليست مجرد اللغة التى يتعاملون بها فى الحياة ، شأن كل لغة مع أصحابها ٠٠ وهى ليست مجـرد اللغة التى حملت الشريعة التى يدينون بها ، شأن اللغات التى حملت الشرائع الى أهلها ، وانما هى ـ قبل ذلك ـ المعجزة التى جاء بها الرسول بين يدى رسالته ، مصورة فى هذا الكلام الذى حمـل شريعة الاسلام ، وهو القرآن الكريم ٠٠ ذلك أن معجزات الرسل كلهم ـ قبـل الرسول الكريم ـ كانت معجزات حسية منفصلة عن الشريعة التى جاء بها الرسول ، وعن الكتاب الذى حملها ، واللغة التى نزلت بها ٠

أما معجزة نبى الاسـلام فقد كانت فى كلمات القرآن نفسها ، وكانت تلك الكلمات معجزة وشريعة معا ، وكان على من ينظر فى هذا الكلام المعجز أو يستمع اليه أن يزاوج فيه بين الأمرين معا ، فاذا التمس حكما شرعيا فى آية من القرآن وجب عليه أن يلتمس أيضا المعجزة أو المعجزات التى فى كيانها، وأن يطالع وجـه الحـكم الشرعى فى سنا المعجزة واعجازها ٠

نريد بهذا التقرير الموجز ايجازا شديدا أن نصل الى هـذا المفهوم الخاص للغة العربية ، وهو أنها ليست على شاكلة غيرها من اللغات ، حيث انهـا لغة ودين معا ، لانها تحمل الشريعة ومعجزتها جميعا ٠٠ فلا تقوم الشريعة الاسلامية الا اذا كانت فى كيان هذه اللغة التى تقدم بين يديها المعجزة الدالة على صدق الرسول ورسالته ٠٠ لكل ناظر فى كتاب الله ، ولكل قارىء له أو مستمع اليه ٠٠ وهذا من شأنه أن يضع اللغة العربية بالموضع الذى لاينبغى أن تتحول عنه أبدا ، بل تظل هـكذا ، المورد الذى يرده أهلها ان كان لهم فى دينـهم ما يدعوهم الى الحرص عليه ، والاحتفاظ به ، اذ أنه فىاليوم الذى تذهب فيه معالم هـذه اللغة ، وتنقطع بينها وبين أهلها الأسباب ، فى هذا اليوم ـ لا كان ـ ينفرط عقد الاسلام ، ويتبدد شمل شريعته ، ويمسىالدين غريبا فى قلوبهم بعد أن أصبحت اللغةـلغة الدينـ غريبة على أسماعهم وفى أفواههم ٠

هذا ماينبغى أن يستيقنه المسلمون أولا ، والعرب ثانيا ٠٠ فان اللغة العربية منذ يوم الاسلام الأول لم تعد لغة العرب كعرب ، وانما هى لغتهم كمسلمين، كما أنها لغة كل مسلم غير عربى ، ان لم تكن فى لسانه فهى فى قلبه ووجدانه ٠

عبد الكريم الخطيب

نجيب محفوظ واللامعقول

بقلم : الحسانى حسن عبد الله



« اذا كان الفن هو هـــذا فلا معنى لان يكتب الانسان ، الأجمل ان اقضى بقية عمرى بلا فن » . هذا ما قاله الاستاذ نجيب محفوظ بعد مشاهدته « لعبة النهاية » . ونجيب محفوظ من اعمق ابناء جيله عرفانا لمسئولية الكلمة ، فموقفه من مسرح اللامعقول جدير بالمراجعة وبخاصة فى هذه الايام التى ظهر فيها جليا تأثر مسرحنا بمسرح «بيكيت» واضرابه. لقد خرج من المسرح ساخطا ولكن سخطه

ما لبث أن تبدد بعد أن عثر للمسرحيـــة على معنى يستند الى اسس ثلاثة اولها : لا تشاؤم فى الفن « فالفن خلق والتشاؤم فناء ، ولكن شعور الانسان احيانا بالشر الموجود فى الدنيا يعكس على نفســه ألمـا عميقا فيتوهم البعض وهو يعبر عنه انه كاره للحياة لا للشر على حين انه لا يكره الشر الا حبـا وتطلعا للخّير » .

بهذا المنطق يحل نجيب محفوظ مسالة التشاؤم والتفاؤل فى الفن حلا يسلب الناقد حقه فى الحكم فمناط الحكم بالتشاؤم او التفاؤل ليس نية الفنان وانما تأثير عمله فى المتـــلقى . ماذا تجدى النية الصالحة اذا كان الاثر سيئا ؟ . بهذا المنطق يذهب كاتبنا الى أن فلسفة « بيكيت » فلسفة تقدمية او هكذا يجب أن تكون ـ على حد تعبيره ـ « ان هذه الفلسفة يجب أن توحى الى الانسان بطريق غير مباشر بالتفكير التقدمى لا بالتشاؤم لأنه اذا كانت حياة الانسان على المستوى الميتـــافيزيقى بهـذا العذاب فالمعقول والطبيعى انه يجب ان يبادر الى تصفية حياته من كل التعاسات المفتعلة . » وهل يجدى فرض وجوب الايحاء بالتفاؤل اذا لم يؤيده الواقع ؟ ان المهم هو ما كان ، لا ما ينبغى ان يكون ، فالذى يشعر مع المسرحية بافتقار الحياة الى المعنى لن تقنعه نصيحة بتصفية الحياة من التعاسة . ولن يبـــادر احد الى الخير ـ على فرض ان المسرحية تصور عذاب ما وراء الطبيعة هربا من آلام منتظرة على « المستوى الميتافيزيقى» ، فتوقع السوء يجعل المرء دائما فى استياء . ولن يصغى الناس الى نصحنا اذا قلنا لهم : ايها الناس قضوا مشكلاتكم ، ودعوا ما انتم فيه من غى ، وافرحوا بدنياكم حتى تستطيعوا ان تواجهوا آلام الموت وما بعد الموت . هذه الخطبة لا تقنع احدا لان آلام الحياة ليســـت امرا طارئا تصنعه حماقة عابرة وانما هى وليدة عوامل كثيرة لا يخفى تعقدها على القصاص الكبير الذى انشغل بها فى نتاجه الغزير .

اما الاساس الثانى فهو اعتقاد كاتبنا ان اللامعقول يؤدى الى المعقول . ولعل هذا ما دفعه الى محاولة تفسير المسرحية مع ايمانه بان موضوعها لا معقول وشكلها لا معقول ايضا . « لا اتصـــور انه يوجد عمل فنى لا معنى له فحتى اذا كان يعبر عن موضوع لا معنى له بشكل لا معنى له . فتطابق الشكل الذى لا معنى له على الموضوع الذى لا معنى له يعطينا عملا له معنى » . بل انه ليذهب الى ابعد فيرى أن المعنى نتيجة حتمية للامعنى . « هذه المسرحية طابقت بين الشكل والموضوع مطابقة كاملة فموضوعها لا معقول ولكن النتيجة الحتمية لذلك كله هو المعقول . » هذا القياس لا ادرى له وجها ، وقد كان نجيب فى غنى عنه لو « تصور » أن « لعبة النهاية » ليست عملا فنيا . وانا اعتقد انه لن يختلف معنا اذا قلنا ان المعقول نتيجة حتمية ايضا للمعقول ، فهل يكون المعقول نتيجة حتمية للمعقول واللامعقول فى آن ؟ اظن من الواضح فى المنطق السليم ان الشىء لا يكون نتيجة « حتمية » لنقيضين .

والاساس الثالث هو : « ان الفن التشـــكيلى الحديث ثمرة مشروعة للحضارة الغربية فى مرحلتها الحديثة » يعنى أن الحضارة المنهارة هى المسئولة عن الأشكال الحديثة . وارى فرقا كبيرا بين القول بأن انهيار الحضارة أدى الى انهيار الفنون ، والقول بأن انهيار الفنون ثمرة مشروعة لانهيار الحضارة . ان الانهيـــار لا يكون مشروعا فى اى حال . والفن كله ثمرة مراحل حضارية منهارة او غير منهارة ،

فليس في الحكم على الحضارة الحديثة بالانهيار ـ ومن الواضح أن العبارة تتضمن هذا الحكم ـ ما يحد من رضاء نجيب محفوظ عن المسرحية ان كان مراده ان يحد من رضائه اذ ان الفن العظيم يستقل دائما عن المرحلة الحضارية ، ويبقى له ـ على اختلاف المراحل في الوطن وعلى اختلاف الأوطان ـ كل قيمته أو بعض قيمته .

هذه هي الأسس الثلاثة التي يقوم عليها تفسير نجيب محفوظ ، فلننظر الآن لنرى هل يؤيد فكرته عن تفاؤل المسرحية وتقديمها أولا . يقول ان شخصيات المسرحية التي تمثل ثلاثة اجيال ، جيل الشباب وجيل الكهولة وجيل الشيخوخة متعلقة بالحياة على الرغم من العذاب المفزع الذي تعيش فيه . ويدلل على هذا التعلق بثلاثة مواقف :

اولها ان الكهل لم يرض للشاب بقتل الطفل الذي ظهر في الأفق ، وانه على الرغم من انه اعمى وان الشمس لا تدخل الغرفة يطلب من الشاب أن يبقيها مفتوحة . والثاني ان جيل « الزبالة » او جيل الشيخوخة يطلب « عصيدة » ولم يطلب سما ليستريح . والموقف الثالث ان الشاب جاء بادوات الانتحار ـ المعطف والحقيبة ـ ولكنه وقف حتى انتهت المسرحية اي انه قبل الحياة على الرغم من كل شيء . وفي هذه المواقف الثلاثة يعتمد نجيب على فقرات من الحوار يستنتج منها مايشاء . واحسب ان من حقنا أن نعتمد على فقرات اخر نستنتج منها ما نشاء فليس ثمة ما يمنع استنتاجا او تفسيرا وقد خرجت المسرحية على كل القواعد التي تعين على الفهم وتدفع اللبس وتحمى من الابهام . ليس ثمة ما يمنعنا لأن « لعبة النهاية » ليست مسرحية وانما هي مجموعة اقوال لبست ثوب الدراما ، ان الكهل والشاب يجتهدان في القضاء على برغوث يظهر في عالمهما « فقد تبدا الانسانية كلها مرة أخرى منه » وعندما يظهر الطفل في الافق يسأل « كلوف » : هل يكمن فيه والد جديد ؟ فيجيب « هام » : اذا كان موجودا فسيموت هناك او يتقدم الى هنا ، وان لم يكن .. (صمت) كيف يوفق نجيب محفوظ بين هذه الاقوال والاقوال التي اعتمد عليها ؟ اما التعلق بالحياة فهو تعلق الجبر والاضطرار لا تعلق الارادة الحرة :

هام : لم لا تقتلني ؟

كلوف : لا اعرف كيف افتح الدولاب . وعندما تتهيأ وسيلة القتل في موقف آخر يعلن « كلوف » عجزه عن القتل . وهذا هو ما يقوله الكهل عن النافذة التي يتخذ نجيب من ابقائها مفتوحة دليلا على التفاؤل :

هام : افتح النافذة

كلوف : لم ؟

هام : اريد ان اسمع البحر .

كلوف : لن تسمعه

هام : حتى وان فتحت النافذة ؟

كلوف : لا .

هام : اذن فلا جدوى من فتح النافذة .

انهم يتعلقون بالحياة لسببين ، لكي تستمر المسرحية ولأنهم لا يملكون القدرة على الرفض بل لا يملكون القدرة على اي شيء . يتعلقون بالحياة لانهم لا يستطيعون أن يصنعوا غير هذا . انه تعلق العجز .. لا تعلق القدرة .

واحقر صور العجز هي تلك الصورة التي يعرضها كاتبنا لجيل الشيوخ الذي يطلب عصيدة لكي تستمر اقذر حياة يحياها بشر . في صناديق الزبالة . ان رفض مثل هذه الحياة ـ اذا لم يكن من مقاساتها بد ـ بطولة لا يقدر عليها هؤلاء العجزة . الانتحار هنا اشرف الف مرة وادل الف مرة من التفاؤل من ذلك الموقف المهين المستسلم المتخاذل . وماذا يكون التشاؤم اذا لم يكن هوانا واستسلاما وتخاذلا ؟ وماذا يكون التفاؤل اذا لم يكن قدرة على الفعل حتى ولو كان هذا الفعل هو الانتحار ؟ « صمويل بيكيت » يقدم لنا أناسا لا يعنون شيئا :

هام : نحن لم نبدأ في ان نعني شيئا

كلوف : نعني شيئا ؟ انت وانا نعني شيئا ؟ اوه ، هذه نكتة ظريفة .

يقدم لنا اناسا يتشفى بعضهم في بعض « يوما ما سوف تصبح اعمى مثلي ، سوف تجلس هنا ذرة في الفراغ ، في الظلام ، الى الأبد » .

لقد اباح نجيب محفوظ لنفسه أن يستنتج من اللامعقول معقولا ، وانا ابحث لنفسي الشيء نفسه ولكني لا اطلب من القارىء أن يقتنع بوجهة نظري لاني لو فعلت لكنت متناقضا مع اعتقادي بلامعقولية المسرحية من أولها الى آخرها . هذا هو العالم الذي يقدمه لنا مسرح اللامعقول ، عالم لا نستطيع ان نتمسك فيه برأي لانه لا شيء معقول . كل شيء عبث ولعب . وهكذا تبدد سخط نجيب محفوظ بعد تدبر وتأمل ، فاذا كان هذا هو موقفه فماذا يكون موقف غيره ممن لا يملكون صلابته ؟

معجزة النيل لصوفي عبد الله

بقلم علاء الدين وحيد

اذا استحب للمرء أن يضع امامه صـورة غيره ليقف في حيدة ووضوح على الملامح الحقيقية لذاته هو ، فان الأمر يعد أكثر أهمية بالنسبة الى عصر من العصور ، عندما نريد أن نحدد بدقة سمات الأيام التي يعيشها من خلال الماضي • واستجابة لهـذه الرغبة في المقابلة والمقارنة التي يستشعرهـا كل جيل جديد ، ظهر في أدبنا العربي الحديث (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي ، و (رجعة أبي العلاء) للعقـاد ، و (كيلو بتره في خان الخليلي) لمحمود تيمور ، وغيرها • وهـكذا أيضـا وضعت صوفي عبد الله كتابهـا الجديد (معجزة النيل) وكانت مرآتها العاكسة ، العصر الفرعوني في الأسرة الثامنة عشر وخاصة في أيام اخناتون ونفرتيتي •

وأول الأشياء الذي أرادت المؤلفة تناوله ، ان تقرر الا جديد تحت الشمس حتى بالمقـارنة الى مصر القديمة ، هذا ما تردده الكاتبة في كل فصول الكتاب وتحاول اثباته • واذا بدت هـذه النظرة التقليدية في غير هذا المكان ، أحيانا في موضعهـا بالنسبة الى المشاعر الانسانية والاحداث التاريخية فهي عندما تكاد تلغي كل فارق بين حياة انسان مصر الفرعونية وحياة الانسان المعاصر كما تجد هنا • نحس غرابة في موقفها وشيئا غير مبرر يبعد بنـا عن الاقتنـاع بما تعرضه الكاتبة • وتسرد صوفي عبد الله الأمثلة الكثيرة على صحة دعواها من حكاية (تامين الحدود) التي يدعيها كل مستعمر لاحتلال الشـعوب الاخرى • الى تعذيب رجال الشرطة للمتهمين وضربهم اياهم ، فالأوضـاع كما تقول هي هي !

ولكي ندرك مدى ما صنعته هذه النظرة ـ التي تحاول أن تلغي كل مكاسب الانسان الجديدة في هذه القرون الطويلة بين أمسـنا الغابر ويومنـا الحاضر ـ من تصوير الاشياء تصويرا سهلا يقف عند حد السطح القريب ، اشارة المؤلفة التي تحول عمل الجيش الفرعوني في حالة ضعف الدولة الى « التمثي في المواكب والمحافل » • لقد رفضت أديبتنـا كل اللقطات التي يمكن أن تشي بضـعف الجيش ، الا هذه اللقطة الاكليشيهية العادية • واذا حدث هذا بالنسبة الى الخطوط العريضة من الملامح الحضارية، فلا يختلف عنه في الاشياء الصغيرة أيضا ، كمعرفة الفراعنة لأكل البسطرمة وشرب البيرة !

وتكتب صوفي عبد الله (معجزة النيل) محاولة أن تكشف النقاب عن حقائق يطمسها الجهل بتاريخ الفراعين ، أو ما يكتنف هـذا التاريخ من غموض وما يشوبه من خرافات ، أو ما يعلق به من تفاسير مغرضة • فهي كما تتحدث عن أصـل امنحتب الثالث وكيف استـعار نسبا ملكيا • تشير في (ص ٣٦) الى أن حكم فراعنة مصر لم يكن مطلقـا بل دستوريا !

والظاهرة الملفتة للنظر ان المؤلفة قد حشدت في كتابها المعلومات الكثيرة الى حد التخمة ـ وكأنهـا تريد أن تقدم التاريخ لمن لايتذوقه في (برشامة) ـ فاستعرضت واجهتها وحوت كل شيء تقريبا ، من أسلوب الحكم الفرعوني الى المطبخ المصري والأطعمة التي تتناول • ولكن هـذه الرغبة التي تملكت صـوفي عبد الله في ادخال الكثير من المعلومات في سياق الحديث ، جعلتها تنزلق غير مرة الى التطفل والحشو المفسـدين • كما فعلت في الفصل الاخير مثلا وهي تذكر ـ وسـط الانفعالات الدامية عن اللحظات الاخيرة لاخناتون ونفرتيتي ـ حب هتلر وزياراته الليليـة في متحف برلين لتمثـال الملكة الفرعونية !

ويلتفت القاريء الى مايشوب (معجزة النيل) من تعثر أحيانا كما يبدو في التناول المضطرب الذي لم يجيء من أن الكاتبة استخدمت أسلوبا قصصيا ، فمثل هذا الاسلوب الدافيء يسـاعد على تحويل الطعام الغليظ أو الدسم الى عصارة سريعة الهضم لا تربك المعدة • وانما يجيء الاضـطراب من ان صوفي عبد الله استعملت ما يمكن أن يسمى وسائل أو أدوات قصصية هي من صميم التكنيك الروائي كتجسيد نفرتيتي في عالم الواقع •• فادراك أديبتنا انها لا تكتب قصة جعلها تحجم عن التمهيد المبرر والاقناع المرتفع الى مستوى الحدث • ولنفس السبب أيضا لم تسـتطع أن تربط بين الفصـول ربطا قصصيا محكما ـ لان كلا منها تناول جانبا محددا من جوانب الحيـاة المصرية حرصت الكاتبـة على

استقلاله ـ ولما حاولت فشلت المحاولة ، كما وضح فى الفصلين (حصاد الشهوات) و (مات الملك عاش الملك) . فالأول تناول انحلال فرعون مصر . والثانى عرض لموته وتولية ابنه بعده .

ومن اضطراب الشخصية التاريخية هنا ان صوفى عبد الله حينما بعثت نفرتيتى لم تجعلها الملكة الفرعونية التى عاشت عصرها القديم فحسب ، بل ارادت لها أن تعيش كل العصور وتعرف العالم القديم والجديد والايام الماضية والحاضرة .. تعرف كل شيء ! ولعل هذا ما بعث على اهتزاز المرتبات لاختلاط القيم . فبينما نفرتيتى تؤمن بالبعث وتجدد الحياة وزواج الاشقاء نراها تذكر نابليون بونابرت وسنت هيلانه واوسترلتز ، وتتحدث عن الاستعمار بنغمة لا تختلف عما نردده اليوم فى عام ١٩٦٤ ! حتى لتبدو مليكتنا الفرعونية سيدة قاهرية ناضجة الثقافة تقارن بين امنحتب الثالث ولويس الرابع عشر ! وتعرف اللغات الأجنبية وتتمثل بالقرآن وتردد فصيح الشعر الجاهلى وشعر شوقى على السواء ! ماذا بقى اذن حتى يكون التطابق تاما ؟ العامية والتحدث بها ! وقبل أن يعترينا الشك لحظة فى جهلها بها ، لانها لم تذكر لها على لسان ، نكتشف ان نفرتيتى من أنصار الفصحى فهى ترفض التعابير الدارجة ولا تقبلها الا معربة كقولها « يموت الزمار ولا تسكن اصبعه عن الحراك » ! (ص ١١٦) . ولعل هذا ما يكشف ان (معجزة النيل) لا تتناول الملكة القديمة بقدر ما تعرض لآراء المؤلفة نفسها !

عندما أرادت كاتبتنا ان تعرض لمصر الفرعونية ، لم تجد أسلوبا أكثر ايحاء من ان تنفخ الروح فيها وتبعثها ثانية الى الوجود بكل مظاهر الحياة التى كانت تتردد بين جنباتها ، متخذة من احدى ملكات الفراعنة دليلة لها فى رحلتها . واذا كانت صوفى عبد الله قد استطاعت أن تستقدم نفرتيتى عن طريق عالم الأرواح الغامض تكوينه بالنسبة الى الانسان ، وتجعلها تحدث الراوية بلسان تفهمه . فلم تنجح المؤلفة فى بعث العصر الفرعونى ، لأنها اعتمدت على أسلوب ساذج فى عملية الاحياء هذه . فكل ما صنعته لكى تنقل الراوية القاهرية بنت اليوم الى عصر الأسرة الثامنة عشرة،أن تجعل نفرتيتى تأمر الراوية باغماض عينيها ثم تمسح على جبهتها بيدها فيتجسد الزمن المطلوب ! وهى وسيلة كما هو واضح جد ساذجة لم تعد تقبلها بالقصص البوليسية الرخيصة ولا تليق حتى بالأطفال . ان مجلات الصغار حين تعرض لمغامرات خرافية تبدو أكثر « اقناعا » لأنها تحاول أن تعتمد ظاهريا ـ كما فعلت صوفى عبد الله نفسها فى استقدام نفرتيتى من العالم المجهول ـ على الغموض الذى يكتنف الكثير من الحقائق العلمية . ان اغماض العين والمسح على الجبهة تناسب حدوتة بدائية تعتمد على الوسائل اللا معقولة مضطرة ، لعدم نضج قائلها وسامعها معا ، لا عمل أدبى يقدم للقارىء الناضج فى النصف الثانى من القرن العشرين !

وأجمل فصول (معجزة النيل) بلا نزاع ، هذه التى تناولت مأساة اخناتون هذا الفرعون المعذب ودينه التوحيدى الجديد . فقد حاولت صوفى عبد الله أن تحلل جوانبه جميعها وخاصة فى أزمته ، وهو يحس بالصقيع يحيط به من جراء تكتل القوى المتنافرة ضده وضد دينه من أصحاب المال وكهان آمون الى الشعب البسيط الذى قام صاحب آتون اصلا لرد حقوقه والدفاع عنه ضد مستغليه . ونجحت المؤلفة فى ان تقدم بتحليلها العميق عوالم مضيئة من حياة هذا العبقرى النبى فى غير عصور النبوات ، الذى أراد ان يحطم كل السدود التى صنعها الانسان على مر الزمن بينه وبين الاله الواحد الاحد . كان اول انسان ممن يتمتعون بحق التقديس المطلق يرفض أن يؤلهه البشر ، ونزل طائعا عن تاج السماء ليغدو انسانا عاديا يبشر بالحب والتسامح وتقديس الاسرة ورعاية المرأة فى وضوح واخلاص ومن أروع اللقطات فى هذه الفصول ، وقوف اخناتون على فساد الناس ، وقد استغلوا دعوته السلمية ورفضوا أن يبذلوا ولو قليلا للنفاذ الى دعوته . وكذلك حب زوجه نفرتيتى له وايمانها بدينه الى الدرجة التى لم تستطع فيها أن تواسيه فى محنته « كنت أنا بايمانى ، غير قادرة على عزائه ، فى حين كان ينبغى أن أكون موئل عزائه » (ص ١٧٨) .

ان الحب حقا يفعل الأعاجيب ، هذا ما تؤكده الخطوط العميقة التى كونت صورة اخناتون ، فلولا حب صوفى عبد الله لهذه الشخصية المتفردة ، لما حفلت كثيرا بأن تجهد نفسها فى سبيل المزيد من فهم هذا الفرعون النادر فهما واعيا مخلصا . تقول فى مقدمتها : « ليس فى تاريخ مصر كله ـ قديمه وحديثه ـ « روح عظيم » يقرن الى ملكها القديس اخناتون » (ص ٦) .

علاء الدين وحيد

شفيقة ومتولى والمستخبى

بقلم علي متولي صلاح

هل يمكن أن تزحف فنوننا وأساطيرنا الشعبية الى المسرح التجريبي التقدمي الذي يحتضن المذاهب والنظريات الحديثة ، وأن تكون تلك الفنون والأساطير مادة صالحة لتلك التجارب ؟

وهل يمكن أن يصل بها الصقل والتهذيب الى أن تتخذ أحدث الأزياء وأجمل الأثواب مع محافظتها على جوهرها الأصيل ومعدنها الذى صيغت منه فلا تخرج عن اهابها ولا تفقد شخصيتها وطابعها الذى يعرفه الناس عنها ؟

وهل يمكن أن تعرض على « مسرح الجيب » الذى اقتصرت معروضاته على « لعبة النهاية » لصمويل بيكيت ، « الكراسى ليوجين يونسكو ، « القاعدة والاستثناء » لبرتولد بريخت ... ثم اخيرا على مذهب « اللا معقول » ممثلا فى مسرحية « يا طالع الشجرة » لتوفيق الحكيم ؟

ذلك ما يراه الناس الآن على هذا المسرح حيث يقوم الآن بتلك المحاولة الجريئة حقا والجديدة حقا من عرض تلك الأسطورتين الشعبيتين النابعتين من صميم حياتنا الريفية العميقة وهما قصة « شفيقة ومتولى » وأسطورة « المستخبى » ، حيث كساهما — المؤلف والمخرج معا — ثوبا جديدا قشيبا ولكنه يشف عما تحته ويرينا كلا من « شفيقة » ، «متولى» على سجيته المصرية الخالصة .

فشفيقة فتاة مصرية ريفية تعيش فى احدى القرى المجاورة لأسيوط أغوتها امرأة كانت تشتغل « ندابة » فى مآتم القرية بأن تتحول الى « غازية » من الغوازى اللائى يرقصن كل ليلة عرايا أو أشباه عرايا ليتلهى الرجال برقصهن ، وكانت تلك المرأة الندابة تسمى باسم « عنادى » .. ونجحت فى اغوالها ، ودرجت على الرقص كل ليلة ، وفى كل مناسبة من مناسبات الأرياف العديدة وطارت شهرتها وعرفها الناس جميعا ...

وكان لشفيقة أخ شاب أخذوه الى « الجهادية » ليقضى دوره فيها كما يوجب القانون وليخرج منها جنديا من جنود البلاد شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من أبناء الريف الذين لم يعفهم القانون من هذا الواجب ولم يجدوا فى أيديهم المال الذى يعفيهم منه والذى كان يسمى فى الأزمان الماضية باسم « البدلية » !

ويحضر بعض زملاء أخيها هذا الى القرية ويشاهدون « شفيقة » الراقصة ويعلمون أنها أخت زميلهم هذا فيعودون اليه بصورتها وهى بملابس الرقص ويعيرونه بذلك فيحزن أخوها حزنا كبيرا وينوى بها شرا ... وتعلم هى بما انتواه أخوها لها فتفزع فزعا كبيرا ويلوح لها شبحه دائما وتتخيله قادما للفتك بها فى كل لحظة وتحسب كل صيحة عليها !

كما يدرك الخوف والفزع أيضا تلك المرأة « عنادى » التى قادتها الى تلك الهاوية فتطلب اليها أن تمضى معها وأن يهربا من تلك القرية ويتواريا عن الأنظار ولكن « شفيقة » ترفض هذا الطلب .

ويغتم ابوها الشيخ أيضا غما شديدا لمآل ابنته ومصيرها الذى جلب له العار بين الناس ويحاول جاهدا ان يردها عن غيها ولكن القدر يحسم الموقف بموتها والقضاء عليها وعلى عارها .

تلك هى قصة « شفيقة ومتولى » فى اختصار شديد . واما اسطورة « المستخبى » فهى أن زوجة ضاقت بزوجها المستبد ذى العقلية القديمة التى تعامل الزوجة على أنها « شيء » فى البيت لا رأى له فى شيء أبدا . ولا وزن له اذا قيس بالرجل أبدا ، وليس له من الحقوق شيء ابدا .. وما عليه الا أن يؤمر فيطيع دون أى اعتراض ، وأن تكون آلة فى يد الرجل يحركها كيفما شاء دون أن تكون لها ارادة فى حركتها أو فى سكونها !

ضاقت بزوجها ولم تستطع صبرا عليه فدست له السم فى الشراب فقتلته ...

وكان لها منه طفل رضيع علم بالحادثة رويدا رويدا حتى أدرك تفاصيلها أخيرا ..

وكان حادث قتل الزوج يؤرق الزوجة دائما ويجعلها فى اضطراب دائم لا يهدأ ، وكانت تتخيل دائما أن الناس يطاردونها فى كل مكان ، ويلاحقونها

فى كل لحظة ، فلا تجـد عنهم مفـرا . وتخاطبهم ـ وكأنهم ماثلون أمامها ـ طالبة اليهم أن يرحموها ويتركوها لشأنها ولاحزانها ، وما من أحد أمامهـا يمكن أن تخاطبه حتى لكأنها ذلك « الناظر » الذى عناه الشاعر بقوله : ـ

وضـاقت الأرض حتى صـار ناظرهم
اذا رأى غير شيء ظنـه رجـلا !

فلمـا شب ابنهـا وكبر وترعرع ادركه من الاضطراب مثل الذى بها وصار هو الآخر يهـذى كهذياناها ويخاطب من لا وجود لهم مثلها ! واخـذ يسألها عن سر مصرع أبيه فاجابته بأن « جملا » نهش يده فمات على أثر ذلك ، ولكن الابن لم يقتنع بهذه الاجابة وظل يضيق الخناق عليها حتى صارحته بالحقيقة وأخبرته بأنها هى التى قتلت أباه لأنهـا كانت تكرهه كراهية لم تقدر على احتمالهـا .. وخشيت المرأة أن يحاول الولد الانتقام لأبيه بقتلها فاسرعت بدس السم له فى الشراب كما فعلت بأبيه من قبل فقتله السم كما قتل أباه ! ...

وهذه الأسطورة تذكرنا ـ تذكيرا قويا ـ بقصة « أورست » الاغريقية الشهيرة ففيها منها مشـابه كثيرة وان اختلفت عنها فى بعض المواقف ..

فأورست كما هـو معلوم ابن القائد اليونانى العظيم «اجاممنون» الذىقتلته زوجته «كليتمنسترا» فور عـودته من حروب طروادة بعد أن اتفقت مع عشيقها على ذلك .. ولكن ابنها « أورست » انتقم لأبيه بأن قتل أمه وأيدته فى ذلك أخته « الكترا » وحرضته على هذا القتل واعترفت به ، فعاقبوهـا على ذلك بأن بنوا فوقهـا صومعة محكمة البنـاء وتركوها فى داخل هذه الصومعة حتى ماتت ...

ولا شك أن مؤلفنا الشاب « شوقى عبد الحكيم » قد نظر وأطال النظر فى قصة « أورست » هـذه وهو يسطر أسطورته « المسـتخبى » فقد كانت تفوح فيهـا ـ وهى المصرية الصـميمة ـ الروح اليونانية بشكل قوى تؤكده تلك « الجوقة » التى جاء بها فى نهاية المسرحية معزية لتلك الزوجة عن فقد زوجها وابنها معا .. تلك « الجوقة » التى كانت عنصرا من عناصر التمثيل عند اليونان وليس لهـا عندنا اليوم وجود !

على أن المؤلف نظر أيضا واطال النظر فى القصة الاولى « شـفيقة ومتولى » الى المذهب الوليـد الجديد واعنى به مذهب « اللا معقول » وأراد جاهدا أن يجرى الحوار فى مسرحيته على النحو الذى يجرى به فى مسرحيـات « اللامعقول » وعلى الاخص فى مسرحية « ياطالع الشجرة » لتوفيق الحكيم .

نظر اليها واطال النظر بدون شك وأبرز لنا على المسرح ـ مثلا ـ ثلاث شـخصيات يتكلمون فلا يخاطب الواحد منهم صاحبه بما يريد أن يخاطبـه به ، ولكنه يتكلم عما بنفسه هو وعما يشغله هو ، وتشابه كثير من مواقف مسرحيتنا هذه بكثير من مواقف « يا طالع الشجرة » على بعد ما بينهمـا فى الاطار والمضمون وكأن المؤلف يريد أن يؤكد قدرته على ادخال هذه الأساطير الشعبية فى عالم الجديد ، وأنها لا تستعصى على التطوير والسير قدما الى ارقى المجالات والأخذ بأحدث النظريات .

ونحن نقرر أن المؤلف مشكور جدا على هـذه المحاولة التى لم يسبقه اليها أحد وأن مما يضاعف الشكر له أنها أول محاولة له فى التأليف المسرحى على الاطلاق ، فهو اذن ذو فطرة سليمة تبشر بكثير من النتائج الطيبة لو سار على الدرب واختص نفسه بهذا اللون الجديد الذى بدرت منه فيه هذه الباكورة الطيبة ، ولكنا نرجو أن يحد من هذا التقليد وأن يطيل النظر الى نفسه لا الى غيره وألا يتشبث بنهج معين قد لا يكون موائما للموضوع الذى يتناوله ، وليجعل الموضوع وحده هو الحكم فى كل شىء .

على أن النص الثانى وأقصد به نص «المستخبى» لم يكن نصا تمثيليا على الاطلاق فقد خلا تماما من كل حركة ولم يكن الا مونولوجا طويلا وطويلا جدا القته «ممثلة واحدة لم تتخلله الا كلمات قصيرة من ابنها.وكان الكلام فيه معادا مكررا تكرارا طويلا جدا لا تحتمله خشبة المسرح ، وكأنه خطبة منبرية لا مسرحية تتحرك أمامنا فياضة بالحياة كما ينبغى أن يكون كل نص مسرحى .

ولقد كان الاخراج من عوامل نجاح هذهالتجربة الرائدة ، فقد عبر تعبيرا ناصـعا ـ ان جاز لنا استعمال هذا التعبير ـ عنأهداف التمثيليتين وأبان عن روحهما ابانة تامة ، وجعلنا نراهما ونحس بهما رؤية واحساسا صـادقين ، وقد بذل هذا المخرج الشاب ـ الدكتور كمال عيد ـ جهدا ما بعده جهـد فى السير بهما الى النجـاح المطلوب مع بسـاطة وعدم تركيب ، واسـتعمل الموسـيقى المصرية

الصميمة التى تتمشى مع الموضوع تماما ، واصطنع من الرسوم والأشكال والمقابر والملابس والمصابيح ما يؤكد الروح المصرية الصميمة التى تبعث منهـا هاتان الأسطورتان مما ســاعد على ابراز المعنى والغرض واشــاعة الروح المطلوبة فكان اخراجـا ناجحا نجاحا يدعو الى الاعجاب والتقدير .

ولو ان الموسـيقى « البلدية » كانت ترتفع فى بعض الأحيان حتى تطغى على الكلام .

ولولا أن « أمينة رزق » جمدت على طريقتهـا القديم وعلى نغمتهـا القديمة فى الالقاء وهى مما لا تدعو اليه الظروف فى هاتين المسرحيتين ...

ولولا أن تلك الراقصة « نيللى مظلوم » كانت تقوم بحركات بلهاء عشواء لا تدل على شىء ولا تعبر عن شىء على الاطلاق ولكنها كانت تهتز كأنهـا جان فقط !

ولولا أن هذا « الكورس » كان حشوا لا تدعو اليه ضرورة ولم يكن الا لملء الفراغ فقط .

ولولا أن الابن « حســن عبد الحميد » كان آية الآيات فى عدم التعبير وعدم الانفعال وعدم التأثر والتأثير وكان كأنه تمثــال يتحرك على المسرح بلا روح ولا حياة .

ولولا شفيقة – وهى محسنة توفيق – لم تقنعنا تماما بأنها تلك « الغازية » المستهترة العابثة الفزعة الخائفة من نتائج استهتارها وعبثها .

نقول : انه لولا ذلك لرأينا تجربة جديدة محكمة البناء لا عوج فيهـا ولا التواء ، ولكننا مستبشرون خيرا بهذه التجربة آملون أن نرى الـكمال المطلق فيما سيليها من تجارب فى هذا المضمار ان شــاء الله .

علي متولي صلاح



احبهـــا ، وهى تعلم ... ونحـــن لا نتكلم !
اذا اختلطنـــا بجمع ... فاللحــظ جد محرم
وقـــد نميت هـــوانا ... بالبعـــد ، والبعد أسلم
حتى اذا ما التقينـــا ... فحبنـــا ليس يرحم !
فى خـــاطرى وفؤادى ... منهـــا خيـــال مقيم
اذا انفـــردت اتانى ... بالحســن ، وهو مجسم
واقبلت فى حـــرير ... وثغــرها يتبســم
وعـــانقتنى بشـــوق ... لهيبـــه يتضـــرم
وقبلتنـــى بثغـــر ... يا طيبـــه حســن يأثم !
وكـــل ذلك طيـــف ... من الخيـــال المهوم
لا يأثـــم الجســم منى ... لكنه الفكـــر .. يأثم !

عامر بحيري

الفلاح

للشاعر عفيفي محمود

منذ كانت هـــذه الأرض ، ومذ كان البشر
وشـــقاء العيش مكتوب عليه ... كالقـــدر
يمضغ الشوك ... ويهدى غيره حلو الثمر
لم ينل حتى نصيب الدود فى جوف الحجر !

كل يوم يسبق الشمس الى الحقل العتيق
فى قميص حائل الزرقة ،مفغور الخـــروق
مغمض العينين ... فالاقدام تهديه الطريق
وسوى الجاموسة الخرساء لم يعرف رفيق!

كدر الماء الذى يشرب غشـــــى مقلتيـــه
ومن الارض الغـــبرار كالح فى وجنتيـــه
ومن الفاس ذراع ييبس الدهـــــر عليـــه
ومن الارض شـــقوق حفرت فى قدميه !

لم يزل يضرع للأرض عسي الارض تلـــين
راكعا يهوى بفاس غـــــابر فى الساجدين
دائبا يكتب فى الارض ســـــطورا من انين
ما بكت عيناه، لكن..كم..وكم يبكي الجبين!!

ينقضي الجيل وراء الجيل والمسكين يشقى
صاحب الضــيعة لايألوه اذلالا ورقـــــا
وهو لا ينبس بالشكوى ولا يطلب حقـــا
ينبت الرزق ... ولا يضمن للأولاد رزقا!

هل يعم الخير ، والاقطاع فى البلدان يرتع؟
هل يسود العدل،..والظلم على عرش تربع؟
هكذا كانت بلادى : عشرات تتمتع ...
والملايين من الجـــوع حشـــاها تتقطع !

واتى يوم ...وفى الافق تبدى خيط نور
آذن الفجر...ودوى فى الدجى صوت البشير
نفض الفانون عن اعينهم نوم الدهور ...
انها ثورتهم !.. بل انها يوم النشور !

وانبرى الفلاح كالمارد من اغوار قمقـــم
ملأ الصدر هواء بعبير الحقـــل مفعـــم
واقـــــام الجذع من بعد انحناء ...وتقدم
وهوى الفاس على الاقطاع والظلم..فحطم!!

عفيفى محمود

ضريبة الهم !!

للشاعر علي الجندي

ليت الأديب — على رفاهة حسه — ... يخلو من البأساء والضراء
ويعان بالرزق الوفير ، فلا يرى ... معنى بغير مطالب العلياء
لايقطع الاوقات — وهي نفائس — ... سعيا وراء اللقمة الخشناء
فيعيش مثلوج الجوانح وادعا ... في غبطة ، وسعادة ، وهناء
متبتلا للفن في محرابه ... مترهبا في البيعة الشماء
مستشرفا للنور من مشكاته ... متشوفا للحكمة الغراء
لاهم يلقى فوقه بجرانه ... ويصيبه بالاين والاعياء
ويشل منه قريحة لماحة ... ويطم فيه منابع الآراء
والهم عقال العقول ، وآفة ... الفكر السرى ، وقيد كل ذكاء
من اين يقتنص الشوارد خاطر ... سدت عليه مطالع الاضواء
او كيف تسرح في العوالم مقلة ... مطروفة الغربين بالاقذاء
ماضر لو عاش الاديب مرفها ... كالبله كالاوشاب ، كالسفهاء
أيبيت ارباب العقول بقفرة ... والبهم بين مرابع خضراء ؟
لو كان هذا الدهر من أهل النهى ... ما خص خير بنيه بالارزاء
أو كانت الدنيا حصانا حرة ... لم تؤثر الجهال بالآلاء
لو ان عقلك قد من صم الصفا ... لحييت فيها أسعد السعداء
مما يدل على خساسة طبعها ... اغراؤها الاحزان بالفضلاء
بالبهم نزلوا على اقدارهم ... فتبجحوا في ذروة « الجوزاء »
مادمت من أهل المثالة والحجا ... فاسحب ذيول التيه والخيلاء
واقنع بحظك واشكر المولى على ... ان لم تكن في زمرة الجهلاء
هم الاديب عليه ضربة لازب ... وضريبة فرضت على الاكفاء
والرزق انواع : فمن جاه الى ... عقل ، الى ولد ، الى نعماء
وجميعها محبوبة مطلوبة ... والعقل افضلها بغير مراء
فاذا حبيت به فلا تنظر الى ... ما فات جهدك من غنى وغناء

علي الجندي

مع تيمور في عيد ميلاده الـ ٧٠

بقلم فتحي الابياري

بينما تحتفل الأوساط الأدبية في القاهرة والاسكندرية بالعيد السبعيني لرائد القصة العربية محمود تيمور .. يعاني الأديب الكبير أزمة عنيفة .. اذ يصارع الحياة ليحتفظ بآخر شعاع من نور الحياة .. نور عينيه .. النور الذي تمكن به من الكتابة طوال حياته المليئة بالكفاح الأدبي ، حتى توجت الدولة ذلك الكفاح بالجائزة التقديرية للأدب عام ١٩٦٣ . فماذا قدم لنا تيمور .. القصاص الكبير .. في رحلته الطويلة الشاقة المضنية ، وماذا يخبيء لنا في جعبته ، وكيف كان تيمور مثالا للفنان الأصيل الذي يعايش واقعه ، ويتأثر به ، ليكتب عنه بصدق وواقعية .

ان تيمور خلال السبعين عاما ، كتب أكثر من ثلاثمائة أقصوصة ، وست قصص طويلة ، وست عشرة مسرحية ، وتسعة كتب في الدراسات الأدبية واللغوية ، وسبعة كتب في الخواطر والصور الأدبية والرحلات . كل هذا بدأ منذ عام ١٨٩٤ حتى الآن . وفي كل عام .. وفي يوم ١٦ يونيو . يطفيء تيمور بدون ضجة أو دعاية .. شمعة .. حتى وصل في صمت . الى الشمعة السبعين .

الأمل .. والحياة

ويشعر تيمور .. بعد تلك الرحلة الطويلة المضنية في عالم القلم .. شعور أي انسان .. وضع لنفسه هدفا ، وظل يعمل ويعمل لتحقيقه حتى تحقق هدفه ، وكان هدف تيمور أن يتمم رسالة أخيه محمد تيمور ، وأن يساهم في حياتنا الأدبية بنصيب ضئيل يمكن أن يكون شيئا ، وأن يلقي في قصصه الأضواء على زوايا من الحياة ، حافلة بالوان من المفارقات وتنازع المشاعر حتى تتجلى محنة الضمير الانساني في صراع الأهواء الرجعية ، والمثل العليا .

أما الهدف الكبير الذي يصبو اليه في قصصه ، فهو أن يكون فيها تبصير بالطبع البشري ، وتجميل لوجه الحياة ، وتعزية لأخيه المسكين .. ذلك الانسان . وبالنسبة لآماله ، فهو يرى أن الآمال في تجدد .. هيهات أن ينتهي لها مدد مادامت هناك أنفاس تتردد .. فانقطاع الآمال .. هو انقطاع الحياة .

وهذا الأمل .. هذا الذي جعل تيمور يتغلب على مرض التيفوئيد .. الذي أصيب به وهو في صدر شبابه . فانقطع عن الدراسة ، ولم يكن هناك علاج لهذا المرض في ذلك الحين . وظل طريح الفراش ثلاثة أشهر متوالية . حاول بعدها أن يعود الى المدرسة ، ولكن صحته كانت قد ضعفت بشكل عام . وقد ترك هذا المرض أثرا عميقا في حياته . وتغير مجرى حياته . فبعد أن كان قد اعتزم التخصص في الشئون الزراعية ، اتجه الى دراسة الأدب ليعوض ما حرم منه .

القصة . والثورة

وقوة تيمور وعظمته ترجع الى أنه كان ينحت في الصخر .. في سبيل ارساء الدعامات الأولى لفن القصة والأقصوصة بالمفهوم الحديث .. ولا يوجد كاتب قصصي في البلاد العربية ، مهما تفوق وبرع الا وتأثر بفن تيمور القصصي ، بعد أن مهد طريق الفن القصصي بعرقه ، وبدمائه ، وبصحته . وقد كافح تيمور طويلا في هذا المضمار ، وبز فيه أدباء الشباب . وتتضح ملامح قوته في براعته الفنية ، في تصوير الواقع الذي يعايشه .

فهو يرى أن المجتمع كله يواكب ذلك التطور الثوري ، والأدب هو أداة التعبير عن المجتمع . فمواكبة الأدب للتطور الثوري نتيجة طبيعية حتمية الا اذا حكم على الأدباء بأنهم في معزل عن الحياة ، وسينقض هذا الحكم ألف دليل ودليل .

فيقول تيمور نفسه : « .. وأحب أن أوضح نقطة ، وربما كان من الخير أن يشار اليها في معرض الحديث عن استجابة الأدب لما أتت به الثورة من تطور ، تلك النقطة هي .. قصر تلك الاستجابة على الاشادة بالخطط والمشروعات والأفكار العامة التي يجيء بها المد الثوري ، فهذا القصر نوع من التحكم ، ولا أراه سدادا في الرأي ، ولا حماقة في النقد .

ان التطور الثوري .. روح وتيار ومثالية ،

لا مجرد خطط معنوية ومشروعات معينة ، وأفكار مرسومة ؛ والادب حين يعبر عن تلك الروح وذلك التيار ، وهذه المثالية فى مجتمعنا المعاصر ، يؤدى بذلك واجبه نحو التطور الثورى ، ويصدق فى الاستجابة له وينقاد فى ذلك ، لوعى طبيعى منبعث من قرارة النفس ، غير منتزع من الخارج ٠

الثورة ٠ فى أدب تيمور

واذا قرأنا أقاصيص تيمور فى مجموعاته القصصية قبل الثورة وبعدها ، ظهرت لنا معالم ذلك التطور بوضوح ٠ ففى مجموعته « شفاه غليظة » صور لنا قطاعات مختلفة ، نقد فيها المجتمع نقدا ساخرا لاذعا ، وكذلك مجموعته « أبو الشوارب » ٠ وفى « ثائرون » صور فيها مجموعة من شباب العصر تسعى الى التحرر ، والى الانطلاق من الأغلال والقيود التى كانت تكبل المجتمع نفسه ٠ فهى تصور عصرا من أخطر عصور تاريخنا الحديث ٠٠ عصر ما قبل الثورة ٠

أولئك فئة من الشباب الحائر ، يحيون فى عهد مظلم يتسم بالفساد والانحلال ٠ ولكن جوانحهم تنطوى على رغبة مستعرة فى انقاذ الوطن مما يعانيه ، وفى نفوسهم تضطرم روح الثورة ، ولكنهم يظلون فى حيرتهم حتى تلقوا ذلك الضوء الوهاج ، يهدى لاقامة صرح الوطن الجديد ٠

الاشتراكية

وفى كتابه « شمس وليل » استطاع تيمور أن يتفاعل مع مجتمعنا ، مستخدما وسيلة فى التعبير هى كتابة الرحلات ٠ وقد تحدث فى الكتاب عن الاشتراكية السويدية ، وعن اشتراكيتنا وقد كتب هذا الكتاب قبل قيام الثورة بشهور قليلة ٠

وهناك أقاصيص كثيرة متفرقة تعبر تعبيرا صادقا عن التطور الثورى الذى نعيش فيه ، وذلك فى مجموعات « دنيا جديدة » و « انتصار الحياة » ٠

اما فى قصصه الطويلة فقد صدر فى « شمروخ » ٠٠ قصة البترول فى الشرق الأوسط ، وكلنا نعلم الدور الذى يلعبه البترول فى المحيط العربى ٠ وفى قصته « الى اللقاء أيها الحب » كانت صورة التطور أوضح وأكمل ٠ اذ رسم لنا فتاة ارستقراطية هى « تيتى » تمثل الفتاة العصرية فى العهد الثورى، وقصة صراعها فى التكيف وسط العصر الحاضر ٠

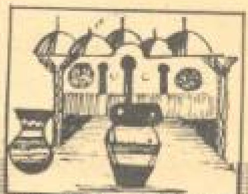
واذا انتقلنا الى مسرحياته ، فهناك «صقر قريش» ٠ الذى يعطينا صورة واضحة عن الزعامة العربية القوية التى نحن فى حاجة اليها لنتقدم الى الامام ٠ وفى مسرحية « المزيفون » صور فيها عفونة العهد البائد ، وقذارة الأحزاب السياسية ، وما كان يحدث عندما يتولى من الاحزاب قيادة الامة ٠

والتطور الثورى ٠٠ ليس مذهبا عند تيمور كما يتوهم البعض ، ولكن طبيعة الفنان الأصيل ، هى التى تحكم على الاديب أن يعبر عما يحسه ، وعما يتأثر به ٠

اما الهدف الذى كان يرمى اليه تيمور ٠٠ وما زال ٠٠ هو محاولة التفطن الى مواطن القوة والخير والجمال ٠٠ فى هذا الخليط الكبير المشتت ٠٠ الملتبس من تصرفات ذلك المجهول ٠٠ الانسان ٠

فتحى الابيارى





راشيكات الهند للبيرونى

تحقيق الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

يطيب لى من حين الى حين ، أن أتابع الحديث عن علماء العرب فى الحكمة والطبيعيات ، ذلك لان فى التتابع حيوية تتدفق ، كضربات دف فى ملحمة موسيقية تقرع ، ويطيب لى أيضا ان أختار القرن الرابع الهجرى ، حيث شهد انطلاقة فى البحوث المبتكرة ، بعد أن نفض يديه عن ينابيع الفكر الاغريقى المترجمة ، ثم أعرض عنها ، وأغلق من دونه الأبواب .

والفكر العلمى ، العربى نزاع الى الفوقية دائما ، وقد وصل الى ذروته الكبرى فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى ، ثم اعتراه الملال فى النصف الأخير من هذا القرن ، لما أصابه من حروب ومحن ، وكان أبرز علماء هذا القرن البيرونى عالم الفلك والرياضيات فى غزنة ، ثم يليه الشيخ الرئيس ابن سينا فى خوارزم ، والحسن بن الهيثم عالم الضوء والرياضيات فى قاهرة المعز لدين الله الفاطمى ، وكان البيرونى يتمتع بفكر جرىء وروح ناقدة على غرار علماء القرن الحالى ، أما ابن سينا فقد اشتهر بطابعه الفلسفى ، وبحافظته القوية التى هى أشبه ما تكون بدائرة معارف متنقلة .

وعلى ذلك يعتبر النصف الأول من القرن الحادى عشر ، من وجهة نظر تاريخ العلوم عصر البيرونى ، وما حفزنى الى اختيار مخطوطه هذا الا مقال قرأته فى عدد الرسالة رقم ١٠٦٣ عن دور العلماء العرب والمسلمين فى التفكير الفلسفى ، بقلم الدكتورة توفيقة حسين ، وفيه ذكر هامشى عن أسلوب العرب فى اجراء العمليات الحسابية وبحوث النسبة والتناسب ، دون أن تضرب لذلك مثلا .

وقبل أن أستطرد فى تفاصيل المخطوط ، يتراءى لى العالم الاسلامى من خلال عدسات الزمن وكأنه مقسم الى ثلاث مناطق علمية ، أحب أن أشير اليها كالآتى :

١ ـ **منطقة الاندلس** : وروادها من العلماء :ـ

(أ) الكرمانى : وهو أبو الحكم عمر بن عبد الرحمن ابن السمح عاش فى غرطانة ، وتوفى عام

ولد فى قرطبة وتوفى فى سارافوسا عام ١٠٦٦ م عن تسعين عام ، وأهم أعماله شرح مؤلفات اخوان الصفا ، وقد تلقفتها جامعات ايطاليا وقتئذ .

(ب) ابن السمح : وهو أبو القاسم بن محمود ابن السمح عاش فى غرطانة ، وتوفى عام ١٠٣٧ عن ٥٦ عام ، وله كتاب المعاملات فى الحساب التجارى ، وكتاب التفاضل العقلى ، وكتاب فى الاعداد ، وكتابان فى الهندسة ، وكتابان فى الاسطرلاب مع ابن السفار وفيها جداول فلكيه على طريقة السندهانت .

(جـ) ابن ابى الرجال : وهو ابو الحسن على ابن ابى الرجال الكاتب المغربى ، ولد فى قرطبة شمال افريقيا ، وعاش فى تونس حتى عام ١٠٤٠ م ، وله كتاب البارى فى الاحكام النجومية • وقد ترجم من العربية الى اللغة الكاستيلينية بواسطة جوده بن موسى ، ثم من اللغة الكاستيلينية الى اللاتينية فيما بعد •

٢ ـ المنطقة الثانية **وهى مصر** وابرز علمائها الرياضى الفلكى ابن يونس ، وكان مديرا لدار الحكمة التى انشأها الحاكم بامر الله لتنافس الدار التى انشأها المأمون فى بغداد ، وكان معه فى الدار العالم الطبيعى الحسن بن الهيثم الذى الف فى المناظر والهندسة ، وكان اول من اكتشف قانون الانعكاس للضوء والقانون الأول للانكسار ، وقد اعتبر الضوء ديناميكيا فى تكوينه ، على عكس علماء الاغريق الذين كانوا يحسبونه استاتيكيا ويشبهونه بقرون الاستشعار عند الحشرات ، وعلى هذا الأساس حلل الشعاع الضوئى الى قسطين متعامدين ، وهى نفس الفكرة التى اقتبسها ديكارت وفرما ونيوتن من علماء الفيزياء باوربا فى القرن السابع عشر الميلادى لاثبات القانون الثانى لانكسار الضوء •

٣ ـ المنطقة الثالثة فى **الشرق** وابرز علمائها :

(أ) البيرونى : وهو ابو الريحان محمد بن أحمد ولد بخيوه سنة ٩٦٢ م وتوفى بنفس عام ١٠٤٨ وترك أكثر من ١٨٠ مؤلفا فى مختلف العلوم •

(ب) ابن السينا : وهو غنى عن التعريف وكذلك وزميله الفارابى المعلم الثانى •

(جـ) الباقلانى : وهو ابو بكر احمد بن على بن الطيب الباقلانى ، ولد فى البصرة وعاش فى بغداد وتوفى سنة ١٠١٣ ، وكان اول من أدخل الذرة ، والجوهر الفرد والهيولى فى علم الكلام ، وتكلم عن الزمن والحركة •

(د) كوشيار بن لبان وله مؤلفات فى حساب المثلثات ودوال الظلال •

(هـ) ابن طاهر وله مؤلفات فى الحساب ومسائل المواريث •

(و) ابو الجود محمد بن الليث : وكان معاصرا للبيرونى ، وبحوثه كانت الأساس الذى بنى عليه عمر بن الخيام أعماله الرياضية فيما بعد ، وله كتب فى الهندسة والمضلعات المنتظمة والقطاعات المخروطية •

(ع) الكرخى : عالم الحساب والجبر وقد قام بحل كثير من المسائل المعضلة الرياضية التى تركها ديوفانتين العالم الاغريقى •

وكان يعاصر هؤلاء العلماء جميعا شاعر ايران الكبير الفردوسى ناظم الشاهنامة عام ١٠١٠ ، والامام ابن حزم الاندلسى الفقيه الفيلسوف وكان يسيطر على الفكر الاسلامى الدينى فى الغرب ، متفوقا على الفقيه ابن طاهر فى الشرق •

تلك هى صورة موجزة لقادةالفكر العلمى العربى فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ما كان يكتبه البيرونى فى غزنه يتردد صداه فى القاهرة وبغداد وقرطبة وصقلية •

علوم زاهرة ذات طابع مميز خاص مستمدة من الروح الاسلامية ، وتربة خصبة ذات خيوبة متدفقة ، مخضرة جنباتها ، يجيب صهيل الأعوجى بها الهدر •

« مخطوط راشيكات الهند » :

عندما زار البيرونى الهند ملازما مسعود الغزنوى اقتبس من حكمائها كثيرا من العلوم الرياضية والحسابية ، وادخلها فى كتبه باللغة العربية ناقلا اياها من اللغة السنسكريتية ، وهذا المخطوط يدلنا على طريقة التعامل فى حساب المقاولات والتموين والمسائل الحربية ، ويطرق فى الوقت نفسه أبواب النسبة والتناسب ، والمخطوط موجود بمكتبهخدا بخش بتنهباقليم حيدر أباد الدكن احدى الولايات الاسلامية العزيزة بالهند ، وهو منسوخ بالموصل وفرغ من كتابته فى شهر ذى الحجة من عام ٦٣١ هجرية أى بعد وفاة البيرونى باكثر من مائتى عام •

ويستهل البيرونى المخطوط باسم الله الرحمن الرحيم ثم يقول :

« النسبة فيما بين المقادير المتجانسة هى صورة من صور الاضافات ، تحصل لها من جهة الكمية فيعرف بها احدهما من الآخر وان كان غير معلوم ، وما من مقدار الأدلة الى جميع المقادير التى تشاركه

فى الجنس نسبة ما سواء وقف عليها او لم يوصل اليها من جهة صورته كالتى بين القطر والدور من أجل الاستقامة والاستدارة الا من جهة صممه كالتى بين القطر والضلع لأجل التباين فالنسبة اذن حاصلة ابدا بين كل مقدارين متجانسين حصــولا بالاطلاق ثم لا تنحصر بذاتها حتى تصير محدودة أو معلومة الا اذا ازدوجت بأخرى فوقفت عندها على النسبتين وأقل ما يكون التناسب فى ثلاثة مقادير .

ولذلك قال اقليدس ان التناسب أقل ما يكون فى ثلاثة حــدود فتكون نســبة الأول الى الثـــانى مساوية لنسبة الثانى الى الثالث أو اعظم منها أو أصغر » .

ومعنى هذا بلغة العصر الحــديث أن نسبة قطر الدائرة الى محيطها ثابت وهو ما يساوى معكوس ط النسبة التقريبية عندنا .

أما النسبة بين قطر الدائرة وأى ضلع فيها وليكن طرف الضلع هو طرف القطر فهى متغيرة لأننا نعلم انها تساوى قاطع تمـــام الزاوية المقابلة ، فطالما أن الضلع متغير فالزاوية متغيرة أيضا .

واذا كانت هناك ثلاثة حدود مثل أ ، ب ، جـ . فان

$$\frac{أ}{ب} \gtreqless \frac{ب}{ج}$$

ويستطرد المخطوط :

« والهند يســمونها ترى راشيك أى ذو الثلاثة المواضع ، وراش هو البرج وراشيك هو الموضع من الصورة ، فان منجميهم يسمون البيوت الاثنى عشر راشيك ، وانما رسموا هذه الثلاثة لأن المعلومات فى المعطى منه ثلاثة .

وهم قوم يسلكون فى حساباتهم الطريق العددى لتدربهم به ، ويقولون فى تصحيحه على الامتحـــان واستقراء الأمثلة دون الاشتغال فى التعليل بالبرهان الهندسى ، ويخطون لهذا خطين متقاطعين لتحصـل لهم أربعة أمكنة على هذا المثال ، ويقولون اذا كانت الخمسة بخمسة عشر فالثلاثة بكم تكون ، ثم ينقلون الخمســة عشر الى المكان الفارغ (س مثلا) ويضربونها فيما فوقهــا وهو الثلاثة فتجتمع خمسة وأربعـــون ويقسمونها على الخمسة فتخرج تسعة وهو الذى يجب أن يوضع فى المكان الفارغ حتى تكون الثلاثة بتسعة ، وهذا هو الذى نذكره لأن النظائر فى الضرب يحصل فى هذا التربيع على قطرية » .

ولتفسير ذلك نقول بلغتنا :

$$٥\,س = ١٥ \times ٣ \quad \therefore س = \frac{١٥ \times ٣}{٥} = ٩$$

واذا كانت الحدود خمسة فان المخطوط يقول :

« وأما الهند فانهم يسمون المقـــادير التى تتألف منها النسبة بنج راشيله لأن مفروضاته خمســـــة توضع فى خمسة مواضع ، ويطلب منها الســـادس ويســلكون فى استخراج المجهول طريقــا يعمه مع ما قبله ويعبره وهو الذى قدم فى ترى راشيك .

وللمثال فيقال أن عشرة دراهم ربحت فى الشهرين خمسة دراهم فالثمانية فى ثلاثه أشهر كم تربح ؟ وهم يضعونها كما فى هذه الصورة ومقدار النسبة المؤلفة ابدا أسفل وهما الدراهم الحاصلة من اشتباك راس المال بالمدة ، ولاستخراج المجهول ينقلون الخمسة الى البيت الفارغ ويضربونه فى الثلاثة الحاصل ثم فى الثمانيـــــة فيكون مائة وعشرين ويحفظونه ثم يضربون الاثنين فى العشرة فيكون عشرين ويقسمون المحفوظ عليه فتخرج ستة ، وهو ربح الثمانية الدراهم فى ثلاثة أشهر ، وانما صار ذلك كذلك لأن الخمسة هــو الاول والمطلوب هو الثـــانى والعشرة هـــو الثـــالث والثمانيـــة هـــو الرابع والاثنــــان هـــو الخامس والثلاثة هو الســــادس فعلى ما ذكرنا من تحليلها الى أربعة أعداد متناســـبة مرتين يجب أن نضرب الاول فى الرابع ويقسم ما بلغ على الثـــالث ليخرج من قسمة الثـــانى على الاول ، واذا ضربت القسمة فى المقسوم عليه عاد المال وهو الثانى فاتفق الامر فى تقديم القسمتين عــلى الضربين لان للضرب على القسمة مزية فى السهولة » .

ومن أمثلة المسائل الحربية يستطرد المخطوط :

« فانه اذا قيل بتحقيق ضلعه سبعة أذرع وسمكه خمسة عشر يرمى منه خمسة أمناء حجر عن الثلاثمائة عشرون رجلا فيذهب الحجر مائة ذراع ويزيد تعلم الى كم يذهب الاربعة أمناء عن المائتين والســتين اذا رماه خمسة وعشرون رجلا من منجنيق ضلعه عشرة وسمكه عشرون وقدامته سبع عشر والقياس يوجب لو استعمل الهند هذا أن يسموه تيره راشيك أى الثلاثة عشر موضعا وأن يسموا ذا الخمســـــة عشر موضعا تيره راشيك » .

ونكتفى بهذا القــدر من المخطوط ، علما بأن ما اقتبسه البيرونى من حكماء الهند قد سرى مجراه فى العالم الاسلامى .

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

المضمون الجديد والشكل الجديد

الى الكاتب القدير الأستاذ عباس خضر

تحية اليك من قارىء مشغوف بمقالاتك القيمة ، يتتبعها بتقدير عميق ، ويعجب بما فيها من استقامة النظرة ، وبراعة الحجة ، ونزاهة القصد . وبعد ، فلى تعقيب على مقالتك الممتعة « **البحث عن أشكال يوقع في أشكال** » ، **التى بدأتها بقولك : « انا لا نصدق ما يقال من أن المضمون الجديد يحتاج الى شكل جديد ـ الا اذا رأينا حقيقة مضمونا جديدا يتطلب الشكل الذى صب فيه ، وأن هذا الشكل يلبى حاجة ملحة لا تتوافر فى الشكل القائم الحالى » وقلت في ختامها :** « والواقع ان هؤلاء المؤلفين وقعوا **فريسة لقضية غريبة هي أن المؤلف لا يعد مؤلفا عظيما الا اذا ابتكر شكلا فنيا جديدا وشق طريقا غير معروف أو مألوف ، فجعلوا يستهلكون طاقاتهم فى البحث عن اشكال جديدة لا لمضمون اجتماعى يرون ان الشكل التقليدى لا يلائمه ولا يفى به ، بل لمجرد اثارة الانتباه ولفت الانظار الى انهم عباقرة .. وفاتهم أن المضمون الجديد الجيد الذى يملأ الشكل التقليدى أهم بكثير من استحداث شكل جديد .** »

لست أناقشك الآن فى المثال المعين الذى خصصته بنقدك فى مقالتك تلك ، بل أناقشك فى القضية نفسها . وأحب ان اوافقك مبدئيا على ان الشكل الجديد لابد أن يبرر وجوده بمضمون جديد يؤديه ، بل أزيد فأوافقك على أن الشكل الجديد ربما يستغله بعض الأدعياء لا لحمل مضمون جديد يحتاج اليه حاجة عضوية . وانت فى مقالتك ـ كما فهمتها ـ لا تطعن فى الشكل الجديد نفسه ، بل ترفضه حين لا يحمل مضمونا جديدا .



الى هنا نحن متفقان مبدئيا . لكنى أعتقد انك تجاوزت هذا الى قدر من عدم الانصاف للباحثين عن شكل جديد ، أو من عدم التعاطف الكافى مع مشكلاتهم الراهنة فى الظروف القائمة ، خلاف ما أجده فى مقالاتك عادة . فلا شك ان منهم من تحدوه رغبة صادقة ملحة لأن عنده مضمونا جديدا صادق الجدة يحتاج الى شكل جديد ولا يستطيع الشكل القديم أن يؤديه . ومن هنا أخالفك فى جملتك الأخيرة ، لأنى أعتقد ان المضمون الجديد الجيد لايمكن أن يحمله الشكل التقليدى بحذافيره حملا كاملا ، بل لا بد أن هذا المضمون يدفع الأديب الصادق الأصالة دفعا الى أحداث تغيير ما ـ يصغر او يكبر ـ فى الشكل التقليدى .

ولعل خير طريقة اشرح بها الى أى مدى أوافقك ، وفيم أخالفك ، ان نتذكر معا ما قاله ت . س . اليوت نفسه ، زعيم التجديد فى الشعر الغربى الحديث قاطبة ، لنرى أنه هو أيضا يحذر من المبالغة فى التماس أشكال جديدة لغير حاجة ماسة . فهو فى مقالته الهامة « موسيقى الشعر » ، بعد أن شرح رأيه فى حاجة الشعر الى ثورات متكررة تحطم الأشكال المقبولة وتعيد صياغتها ، يقول :

« ليس معنى ما قلت آنفا أن من وظيفة كل شاعر أن يحدث انقلابا فى لغة الشعر ، فان الأمر يعتمد ، لا على تكوينه الشخصى فحسب ، بل على

العصر الذى يعيش فيه • هناك عصور يحتاج فيها الشعر الى الثورة التى شرحناها حتى يلحق بركب لغة الكلام وما دخلها من تغييرات هى فى حقيقتها تغييرات فى الفكر وفى الاحساس • ولكن هناك عصورا أخرى تقتصر فيها وظيفة الشاعر على أن ينمى التقليد الموجود وينمى امكانياته الموسيقية فى اتصاله بلغةالكلام • فمن غير المرغوب فيه ـ ولو فرضنا ان هذا ممكن ـ ان نعيش فى حالة من الثورة الدائمة • وكما ان الاتباع العنيد لأسلوب اجدادنا ليس من الصحة فى شئ ، كذلك التهوس فى نشدان الجديد من الأساليب والأوزان ليس من الصحة فى شئ • هناك ازمان لاستكشاف ارض جديدة ، وهناك ازمان لاستثمار الأرض التى فتحناها •»

وتقطة خلافى معك أيها الاستاذ الكريم ، هى فى تعقيبى على جملة اليوت الأخيرة ، فاننى أسأل : فى أى زمن نحن ؟ أما أنا فلا أتردد فى الاجابة : نحن فى زمان مشكلتنا العظمى فيه هى العثور على اشكال جديدة تقوم بمضموناتنا الجديدة • فلا شك عندى ان خيرة أدبائنا لديهم فعلا مضمونات جديدة نشأت من ثقافتهم المعاصرة العميقة ، وحسهم الفنى المشحوذ ، وقدرتهم على الغوص فى أعماق النفس الانسانية واستكناه متناقضاتها أبعد مما استطاعه او حاوله أدباؤنا القدامى جميعا ، كما نشأت من اختلاف مجتمعهم وسيرهم وتجاربهم اختلافا جسيما عما كان متاحا للقدامى العرب الذين وضعوا الشكل الشعرى القديم من ناحية ، واختلافا غير قليل عما أتيح لأدباء الغرب الذين وضعوا أشكال الفنون النثرية ، فليست هذه الأشكال ، على عظم ما تقدمه لنا من المساعدة والتبصير ، بالتى تصلح تمام الصلاحية لحمل مضموننا العربى الجديد ، الذى نريد له ان يكتب الى تراث الانسانية العام باكتتاب متميز يغنى هذا التراث باضافة جديد اليه •

لهذا تجدنى أكثر منك تعاطفا مع جهادهم العنيف للبحث عن أشكال جديدة ، تختلف عن شكلنا التقليدى فى ميدان الشعر ، ولا تلتزم بكل القواعد المستقرأة من الأشكال الغربية فى الفنون الأدبية الأخرى ، حتى حين يبلغ هذا الجهاد ما سماه اليوت « التهوس » فى نشدان الجديد • ليس معنى هذا اننى أوافقهم على كل ما يجربون من الأشكال ، ولا اننى أتنازل عن حقى النقدى ـ بل واجبى ـ فى رفض اشكالهم حين لا تقنعنى ، لكننى لا أسرع الى اتهامهم بالشعوذة والتهريج والبهلوانية ومحاولة الخداع ومجرد اثارة الانتباه ولفت الانظار كما فعلت فى مقالتك للأسف الشديد • لأننى أدرك ان الغاية الرفيعة العسيرة التى يسعون اليها لن تتحقق الا بالتجربة والخطأ ، وبعد ارتكاب الكثير من الاندفاعات والحماقات • فهذه ـ كما شرحت فى مجال آخر ـ هى طريقتنا الوحيدة المتاحة لنا نحن البشر المحدودين لاستكشاف الحق والتخلص من الباطل •

دعنى أخيرا ـ رغبة فى تحديد جوهر الخلاف بيننا ـ أضع المسألة هذا الوضع القاطع : **اننى ارى ـ فى ظروفنا الراهنة ، وطورنا الذى نعيش فيه ـ أننا فى زمن من تلك الأزمان التى وصفها اليوت بأنها ازمان الثورة على الأشكال القائمة ، والسعى فى تلمس شكل جديد ، لهذا أرى ـ خلافا لما قلت فى مقالتك ـ ان الأديب عندنا ، فى هذه المرحلة المحدودة ، لا يمكن ان يكون اديبا « عظيما » (وارجوك يا اخى الكريم ان تنعم النظر فى هذا النعت الذى استعملته انت) الا اذا ابتكر فعلا شكلا فنيا جديدا وشق طريقا غير معروف او مالوف •** وفى هذا السبيل تجدنى مستعدا لأن أسامح أدباءنا على كل ما يرتكبون فى سعيهم نحو تحقيق هذه الضرورة الملحة من خطأ وشطط ، فهم يأملون ، وأنا آمل معهم حاز الأمل ، ان ينتهوا من تلك التجارب الى استكشاف سواء السبيل •

حقق الله الآمال • ولك أصدق التحيات •

محمد النويهى

يبدو لى أن الخلاف بين الدكتور النويهى وبينى يبدأ عندما يبلغ امر البحث عن أشكال جديدة حد « **التهوس** » فهو يتعاطف ـ كما قال ـ مع المتهوسين فى نشدان الجديد ، وأنا لا أتعاطف معهم •

ويبدو لى كذلك أننا متفقان على ما قبل «**التهوس**» وهو أن يكون لدى الباحث عن الشكل الجديد مضمون جديد يصفه الدكتور بأنه « **صادق الجدة**

يحتاج الى شكل جديد ولا يستطيع الشكل القديم ان يؤديه » .

ويبدو لى – للمرة الثالثة – أن الأستاذ الدكتور النويهى **يختلف مع نفسه .. فهو اولا يقرر انه** يتعاطف مع الباحث عن الشكل الجديد على اعتبار أن عنده مضمونا يحتاج الى ما يبحث عنه ، وثانيا يقرر انه يتعاطف مع هذا الباحث حتى فى حالة « **التهوس** » .. وهذه الحالة انما تكون عندما لا يكون هناك مضمون جديد يحتاج الى شكل جديد ، ولو كان ... ما سمى الأمر « تهوسا » .

الا اذا كان ما يريد الدكتور أن يقوله هو انه يتعاطف مع الباحث عن الجديد .. عاقلا أو متهوسا !

هذا واعتقد انه واضح من مقالى السابق ومن الفقرات التى تضمنها منه مقال الدكتور النويهى **انى لا اقف فى طريق الباحثين عن شكل جديد ،** وعلى هذا لا أدرى لماذا أحس الدكتور بانى تجاوزت الى قدر من عدم الانصاف لهم اومن عدم التعاطف الكافى معهم ... **انى قصدت الى قطاع معين محدد وهو المسرحيات التى لخطت فيها « الهمبكة » وليسمح لى الصديق الكريم ان اضيف هذا اللفظ الدال – فى لغتنا العامية – على نوع من الحركات والاقوال التى ليس وراءها فعل مثمر .. ليسمح لى أن اضيف هذا اللفظ الى كلمات « الشعوذة والتهريج والبهلوانية ومحاولة الخداع ومجرد اثارة الانتباه ولفت الانظار»** . التى وصفت بها تلك الاعمال ، بل تلك الحركات ، ويؤسفنى أن يشعر الدكتور بالاسف الشديد لوصف الاشياء بصفاتها وتسميتها باسمائها ..

وانى أرحب بكل تجربة ، بل بكل خطا فى المجال الجدى الموضوعى البعيد عن الدعاية الشخصية اى عن «الهمبكة» .. واعتقد أن الحكم بان زماننا هو زمن البحث عن اشكال جديدة لا بد أن يكون مبنيا على الأساس الذى أتمسك به وهو أن يكون لدى الباحث عن الشكل الجديد مضمون يحتاج اليه . وهذا المضمون هو الذى يدلنا على صلاحية الزمن، وما الزمن الا وعاء .

تبقى المسألة الأخيرة التى خالفنى فيها الدكتور النويهى ، اذ رأى « أن الأديب عندنا ، فى هذه المرحلة المحدودة ، لا يمكن أن يكون أديبا عظيما الا اذا ابتكر فعلا شكلا فنيا جديدا وشق طريقا غير معروف أو مألوف » .

ما قول الدكتور النويهى فى نجيب محفوظ كروائى عظيم ، وفى محمود حسن اسماعيل كشاعر عظيم ، ولم يبتدع احد منهما شكلا جديدا ؟ بل ما قوله فى صلاح عبد الصبور وعبد الرحمن الشرقاوى اللذين يقولان الشعر الجديد على شكل سبقا اليه ، ولم يبتدعه احد منهما ؟

اذا كان على اى أديب – لكى يكون عظيما فى هذه المرحلة المحدودة – أن يبتكر شكلا جديدا فان هذا **يجر الى ان يبحث كل فرد عن شكل غير الشكل الذى يقول عليه الآخر ..**

مثلا .. على الشاعر الجديد الذى يرى ان الشعر الجديد الآن يقال على التفعيلة الواحدة .. عليه أن يبحث عن شكل لم يسبق اليه ، شكل تكون الوحدة فيه « نصف تفعيلة ! » .

وعلى من بعده أن يقول الشعر على « **ربع تفعيلة!** » وهكذا ...

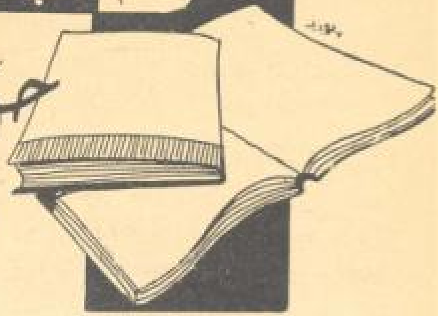
ثم يأتى بعد ذلك من يعلن **أن أحسن ابتكار هو العودة الى البحر ..** كما يحدث فى عالم الأزياء ..

ولا أحب أن يصرفنى الاسترسال فى المناقشة عن الاعراب عن تقديرى للدكتور النويهى وصدقه واخلاصه فيما يرى ، بل رغبته الشديدة الملحة فى الابتكار والتجديد .

عباس خضر

بقلم عبده بدوى

حول الأدب في أسبوع





مع الدكتور محمد مندور :

كنت أحب ان لاأعتب على أستاذنا الدكتور محمد مندور ، وربما لانا انزلناه من نفوسنا منزلة تجعله اكبر من العتاب الرقيق ، وربما لانه كان ولا يزال أحد البحار العميقة التي لاتكف عن العطاء ٠٠ ولكني مضطر الى ان أرفع صوتي بكلمة العتاب هذه ، بالرغم من احساسي العميق بان الرجل قد أثرى حياتنا الادبية ، وانه لم «يقاتل» الجيل الذى أنتمى اليه ، وانه قد وضع الآن «السلاح» تماما واكتفى بكلمات التشجيع يرسلها هنا وهناك بسماحة لايشاركه فيها أحد من جيله ٠

فقد ذهب الدكتور مندور فى مقاله المنشور بهذا العدد الى القول بانى اظن ان الشعر الجديد عندنا خال من الوزن بالرغم من مئات المقالات ، وعشرات الكتب التى وضعت فيه ، وكنت أحب للدكتور مندور الا ينسى انى من الشعراء الذين كتبوا بالطريقتين ، وان عددا وفيرا من قصائد ديوانى «شعبى المنتصر» من الشعر الحر ، ومن هذه القصائد الضوء المنفعل ٠٠ وعودة الأرض ، والمعجزة ، ويوم الجلاء ، والشتاء المقوس وصور من القرية ، وامس واليوم ٠ وموال أدهم الشرقاوى ٠٠ الخ ٠٠

فهل يبقى مكان لكلمة «أيظن» التى جاءت فى مقال الدكتور ؟ وهل نجيز له النسيان أم تذكره بانه كتب عن شعر هذا الديوان فى مجلتى « المجلة » و «البوليس» ثم تعرض بعد ذلك لقضية التجارب الخاصة التى هى صدى الانطواء على النفس ، والتى كان قد أثارها الاستاذ فتحى رضوان فى المقدمة الى القول بانى لم أغفل هذه التجارب «لان الشعر انفعال بتجارب تمر بالشاعر وتعبير عن هذا الانفعال ٠٠ ولقد كان كل هذا فى المقدمة الرائعة التى كتبها لديوانى «باقة نور» ٠

وليس لهذا من معنى الا أن شعرى كله كان فى «دائرة الضوء» أكثر من مرة بالنسبة للدكتور مندور ثم اخيرا أين عشرات الكتب التى وضعت فى هذا الموضوع ؟

هذه واحدة ، اما الثانية التى «افزعت» الدكتور مندور ، فهى انى لم اتبين ان الرواية التى أوردتها للموال الشعبى لايستقيم البيت الاول فيها مع احكام الخليل بن احمد ، ووفقا لحساسية الاذن الموسيقية السليمة ٠

وقد كنت أحب للدكتور أن يرجع لما كتبت ، ذلك لانى ذكرت انه من «المواليا» الذى يعتبر من مشتقات البحر البسيط ٠

اما القول بان الحبيب «دخل الدره» بحثا عن حبيبته ، فشىء لايوضحه البيت الاول من رواية قرية «أبو مندور» ، بينما يظهر هذا الشىء الذى يستدعيه البيت الثانى والثالث فى رواية قريتى بمحافظة البحيرة ٠

، واما القول بان الادب الشعبى لايعرف التجريد ، فربما كان يحتاج ثانية الى نوع من الاستقصاء والمراجعة ٠

ومهما يكن من شىء فقد كان كل ما طلبناه من شيخ النقاد هو «الفتوى» ، ولكنه جهر لنا بالقول الشعبى :

يوسف الخال .. والشعر الديني

اذا كان الشعر العربي قد نحي عنه الوصـاية الدينية منذ فترة بعيدة ، ولم يعد يقبل على هـذه التجربة بتصميم وهندسة مسبقة ، فان الشعر في لبنان اليوم تشيع في اكثره «الترانيم الدينية» الى حد القول بأن الشاعر اصبح يصدر عن «الانجيل» اكثر مما يصدر عن نفسه أو عن الحياة .

وهو حين يضع نفسه في هذه الدائرة الضيقة - التي لانجادل في خصبها - يسارع بعملية اقتلاع نفسه من التراث الذي لايكاد يكون له غير وجه واحد هو الوجه العربي .

ومن أجل هذه الغاية يشكك في قيمة العربي ، وفي قيمة الحياة التي يعيشها ، سواء أكانت هذه الحياة هي الماضي أو الحاضر ، ولئلا نكون متجنين على هـؤلاء الفرسان الدينيين ، سنقتبس بعض مصطلحاتهم .

فهم يقولون : انه مامن محور جوهري واضح تدور حوله حياتنا العربية في هذه اللحظة من الانحطاط .

وان العربي يقف اليوم في الحوض الشرقي من البحر المتوسط عاريا كالعظم ، يمشي ويتكلم نائما ، وانه ليس أكثر من طفل أو هيكل عظمي .

وان العربي الذي كان يمتاز في تاريخه الاول بفرديته يبدو الآن وكأنه يفتقدها من أجل الاندراج في جماعة لا اسم لها ولا وجه .

واذا كانت اللحظة الحاضرة هي لحظة الرماد والشيخوخة فان تراثه الضخم يتحرف ويتشوه ، وينغلق ، وتموت فيه الصبوة . وينهي سيرته في كونه «خالق أديان» .

فالتراث المرفوض هنا والذي تكال له الضربات هو التراث العربي الاسلامي ، ولن يقلل من هـذه الحدة القول بأن التراث العربي ليوسف الخال « هو التراث الانساني كله» أو انه «التراث الذي تكون على الارض العربية منذ القدم وتفاعل عبر المتوسط مع التراثات التي تشكل بجملتها الحضارة المدينة .

لان في هذا عملية تبرير فقط ليوسف الخال .. وللانتهاء الى انه على حد تعبير أدونيس «يصدر في شعره عن المسيحية العربية أو الوثنية العربية أكثر مما يصدر عن الاسلامية العربية » وانه الوارث الحقيقي للتراث المسيحي ، وان شعره ليس الا نتيجة الانسجام والوحدة والتلاؤم بين التراث والحاضر الثقافي للشاعر .

ثم تكون نتيجة هذا اللقاء أن « يوسف الخال » يصبح ثوريا ولكن بتور المسيح ، وان شعره شعر ايمان مسيحي يؤكد بوعي وشعور أن الله تجسد انسانا ، ثم مات ثم بعث ، وفي ضوء هـذا يصبح المسيح هو الحرية والحضور الأبدي الخلاق ، والباقي المشع الذي لايتم الخلاص الا به .

والشاعر لكي يتحقق له «شعر الايمان المسيحي» ، هذا نراه يتحرك من خلال عد رموز لايتجاوزها ، كان شعر الايمان المسيحي لايتحقق الا اذا نصبها الشاعر أمامه ، وهذه الرموز هي :

بابل ، قبرص ، قرطاجنة ، لبنان . سـدوم . أورشليم ، بعلبك . عبدنائيل . عشتروت . أوديب . بعل . ونراه في الوقت نفسه يتعمد الالحاح على الاساليب التي لاتجرى على النهج العربي القويم مثل: الواحة الهناك ، الخاطىء الأصيب بالعمى ، في الملجا الوراء ، ياالعريب ، الوراء قرطاجنة .

ان الشعر الديني المسيحي كما نتصوره لايقف عند حدود انكار التراث الاسلامي فقط ، ولا يقف عند كراهية تركيب الجملة العربيـة ، ولا أقول القصيدة العمودية لان الشعر الحر له وظيفة تطورية لاشك فيها ، ثم أخيرا لايتعمد الرمز «بالغراب» عما لايعتنقه الشاعر من تراث أو حضارة اننا نقر الشاعر حين يربط بين الشاعر والمسيح .

يصلب النفس ليفدي أنفسـا
مرغت في شهوة الحس الجبـاء

وحين يجد الصلاة هي البيت الوحيد الذي يسارع اليه امام مشكلات الحياة .

آه لا أدري ولـكني أصـلي

وحين يعطي حلولا دينية .

أعطشان ؟ خذ الصخرة واضربها
واما عضك الجوع فهـاك المن
والسلوى . واما صرت عـريانا
فخـذ من ورق التـين رداء
اذا ما استفحل الشر : صليب الله
مرفوع عـلى رايـة الدهر

ولكن حين يعطي كل شيء وجها مسيحيا ، تصبح قراءته **نوعا** من التعذيب الهادىء الذي يستحيل بعده الانسان الى الصمت والى العدم !

وعلى كل فالتجربة التي « يعانيها » يوسف الخال غير متمثلة شعريا في وجدانه ، لانه يعتصرها عصرا، ويحتشد لها احتشادا مقصودا ، ومن هنا تتحول « التجربة الشعرية » عنده الى « تجربة مسيحية مهندسة ضيقة » ٠

واى قارىء — الا ان يكون مريضا بالدين — لابد ان يحس بالضيق حين يجد نفسه محاصرا في كل فكرة وكل نبضة بوجه دينه وهو يصلب من حوله الحياة ، ويجره جرا الى مذبح ، او محراب !

ومانريد أن نقوله بعد هذه الرحلة مع الشاعر «يوسف الخال» ، هو أن الالحاح على دين من الاديان بهذه الصورة في هذا العصر يحمل على الريبة والشك! وأن هموم العربي المعاصر لم تعد ميتافيزيقية الى حد القول بأن افراز هذا اللون من الشعر يعتبر امرا ضروريا ٠

وأن التراث يجب الا ينقسم الى اسلامي وغير اسلامي فهناك فقط تراث عربي يخصب التجارب المعاصرة ٠

وأن الشاعر يجب عليه ألا يعمل للفرقة وللمناورات وللانغلاق الديني ، لأن الصوت الصادق في هذه الفترة هو الغناء للانسان ومباركته وهو يشكل نفسه في المنطقة العربية ٠

العدد الأخير من مجلة حوار

في هذا العدد مقال بعنوان المسلمون السود لورو بيرغر تعرض للقضية بمنهجية واضحة ، ولكنه مال عن هذه المنهجية بعض الشيء حين تعرض لما يجتذب الزنوج الى الاسلام ٠

ومقال عن الشخصية السودانية والحكم الاجنبي الح فيه كاتبه على ان « التخلف الفكري كان عاملا هاما في تاجيج نار العاطفة الدينية الاسلامية في السودان » وذكر أن الناس هناك تهامسوا بأن « كتشنر » بحمرة وجهه ، وزرقة عينيه هو المسيح الدجال ، ولا شك أن الكاتب يظلم الحقيقة بهذا الحماس الذي صبغ به المقال ٠

واذا كان الذي يعنينا هو ما كتبه الأدباء المصريون في هذا العدد ، فان النظرة الاولى لما كتب تدل على أن أكثره لا يدل على خطهم الرئيسي الذي تميزوا به ٠

فالدكتور لويس عوض ٠٠ يعبر عن تجربة دينية وقفت به في عام ١٩٥٦ على أعتاب الكثلكة ، ثم انتهى منها الى ماسماه « بالدين القومي » والقصيدة تعطي ترنيمة دينية تعبر عن «جوهر الدين» كمحور للوجود بصرف النظر عن الملامح المسيحية أو الاسلامية التي تلف القصيدة ، والمفارقة هنا أنها من الشعر العمودي الذي يدعو الى « كسر رقبته » ، وأنها تعتبر « حدثا شعريا مركبا » لا يقدر على تفسيره الا الدكتور لويس عوض نفسه ٠

ومجاهد عبد المنعم مجاهد ٠٠ يدخل على قصيدته « هذا السلم يا حبيبي » مقطعا كنسيا ، يمكن قراءة القصيدة بدونه ، ولعله أتى بهذا المقطع بالاضافة الى بعض التراكيب اللبنانية « للمجاملة » ، وهذا المقطع يقول :

على كنيستي فتاة

تبكي ببابها وليس في عيونها اله ٠٠ الخ

وتوفيق حنا ٠٠ كعادته يكتب وكأنه يبارك الحياة ، ويعطيها من النور الذي يتدفق في قلبه وقلمه ، وهو يذهب الى أن من أهم العناصر التي قدمها معرض جورج البهجوري ٠٠ العيون المستديرة المليئة بالبراءة والدهشة والطيبة ، والتي تقدم الفن القبطي الذي نلمسه في لوحات الفيوم ، وينتهي الى أن الفنان يمت بصلة وثيقة الى الفن الفرعوني والفن القبطي والفن المعاصر ٠

ونادية مويس ٠٠ تعترض على مقال العقاد الذي نشر في اول عدد من مجلة الشعر ، وترى أن مجلتي الرسالة والمجلة لا تربطهما وحدة فكرية واضحة بعكس « الكاتب » مثلا ٠

وهناك رد على مقال الاستاذ خدوري الذي راى ان عزيز المصري اسطورة ، ولا مكان له قبل الثورة وبعده ٠

ومقال يرى أن (طريق) نجيب محفوظ يؤكد عبثية البحث عن القيم الميتافيزيقية ، وخوائية الدورب المفضية اليها ٠

٠٠ لن اقول أن أكثر ما جاء فيها « غريب » على المناخ الثقافي عندنا لاني أترك الحكم للقارىء !

« عبده بدوي »



١٠ — الكتب
نقد وتعريف



بقلم
تحسين عبد الحي

تابعت فى الأعداد الأخيرة من مجلة الرسالة تقديم الكتب الخاصة بالقضية الفلسطينية — وخاصة تلك الكتب التى تعالج القضية من النواحى التاريخية والاقتصادية والسياسية .. وكذلك بعض الكتب التى تتصل بفلسطين سواء أكانت قصصا أم دواوين شعرية ..

ويهمنى أن اوضح هنا ان معظم الكتب التى كنت اقدمها واقوم بالتعليق عليها — بموضوعاتها المختلفة واتجاهاتها المتباينة — كانت تقدم بناء على رغبات القراء .. من خلال رسائلهم العديدة الى .. تلك الرسائل التى تميزت بالموضوعية والوعى الكامل بخطورة واهمية القضية الفلسطينية بالنسبة لوجودنا القومى .. فمن خلال الأسئلة والاستفسارات الواردة كان الكتاب الاسبوعى والتعليق عليه . وفى هذا الاسبوع وصلتنى رسالة من السيد الدكتور عبد الله مبارك بالمنصورة يقول فيها : —

الأستاذ الفاضل الباحث

تحسين عبد الحى

تحية طيبة وبعد : يسعدنى أن أكون ممن يعرفون لمجلة الرسالة قدرها ويقبلون على قراءتها بشغف ونهم ومما لفت نظرى فيها أن باب « الكتب نقد وتعريف » قد وكل اليكم أمره وهى مهمة ليست بالهينة وانما هى مهمة المتعمق الدارس والواعى البصير والحمد لله أجد « فى باب الكتب — نقد وتعريف » فائدة وتحصيل علم وتنمية الادراك والتسامى بالوعى الى أوسع الآفاق — وقد لاحظت أن موضوع اسرائيل — وهو موضوع الساعة يحظى من سيادتكم بالتقدير من حيث تقديمكم لأغلبية الكتب التى ألفت فى اسرائيل نفسها تنبيها للأذهان فتقف الأذهان على خطرها وتعبئة للهمم فيعمل أصحابها على القضاء عليها — لكم أطمع يا سيدى أن تحدثنا تاريخيا عن « فلسطين » من حيث من كان يسكنها قبل الكنعانيين وهل لك يا سيدى أن تحدثنا بافاضة عن حالة فلسطين قبل أن يهاجر اليها الكنعانيون من شبه الجزيرة العربية وهل لك يا سيدى أن تحدثنا للمعرفة التاريخية عن « هيكل سليمان » من حيث فنه المعمارى ونشأته ومحتوياته : وهل كان من طابق واحد أو كان أكثر من طابق ... الخ ما يتصل بذلك الهيكل من الوجهة التاريخية .

لكم يسعدنى أن أقرأ جوابا عما سألته على صفحات الرسالة الغراء .

ولا أخفى عليكم اننى بصدد الشروع فى القيام بمؤلف عن « اسرائيل » غير أنه لم يقع تحت نظرى كتاب عالج تاريخيا ماسألتكم عنه اللهم الا «التوراة» فقد وصفت هيكل سليمان فى سطور قليلة .

ولكم جزيل الشكر ؟

دكتور عبد الله مبارك

المنصورة

والواقع ان الذى دفعنى الى نشر الرسالة ٠٠ هو انني لم اجد ردا لها في كتاب واحد ٠ ومن ثم فسوف يكون الرد ـ وهو تلخيص بطبيعة الحال ـ حيث تسمح بذلك الصفحات المخصصة لباب الكتب ٠

تعتبر فلسطين الشطر الجنوبى الغربى من أطراف شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ـ الى راس الناقورة شمالا ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط غربا الى مجرى نهر الاردن شرقا حسب الرسم السياسى للانتداب البريطانى ومساحة فلسطين ٢٧٠٠٠ ك٠م٠ ويثبت التاريخ أنها كانت دائما الجسر الدائم للغزاة يعبرونه من الشرق الى الغرب وبالعكس ٠

وفلسطين اسم محرف عن اسم شعب أو قبائل عربية كانت تقطن هذا المكان قبل ٤٠٠٠ سنة واقدمها ما كان يسكن يافا وغزة والمجدل وعسقلان وان كان من الصعب فصل سوريا عن فلسطين لأنها جزء واحد مع الاردن فكلها أرض الشام القديمة ٠٠ وأرض الشام بما فيها فلسطين كان يسكنها الكلدانيون والآراميون والأموريون ـ واليبوسيون وغيرهم ومن خلال كتب اليهود المقدسة نستطيع أن نعرف المزيد عن الشعوب التى كانت تقطن فلسطين ٠٠

ان مفسرى أسفار العهد القديم ذكروا مواقع الرفائيين والزوزيين والايميين والحوريين ومدنهم المذكورة فى الاصحاح الرابع عشر فى شرق الأردن ـ والخبر يدل بطبيعة الحال أن هذه المدن كانت قائمة قبل مجىء ابراهيم ـ وأن هذه المنطقة كانت مأهولة بشعوب شتى ربما كان لكل منها مملكة وكانت كل مدينة كرسيا لمملكة اسرة بما تدل عليه العبارة بالنسبة لسدوم وعمورة وصبوئيم وادمة وبالع ٠

وذكر الحوريون فى الاصحاح السادس والثلاثين من سفر التكوين فى سياق ذرية عيسو بن اسحق وسكناها جبل سعير وقبائلها وزعمائها فى أرض آدوم التى يقع فيها جبل سعير ـ وسعير أو آدوم هى المنطقة الجنوبية من شرق الأردن وجاء ذكرهم بهذه العبارة « هؤلاء بنو سعير الحورى سكان الأرض لوطان وشوبال وصبعون وعانة وديشون وايصر وديشان وهؤلاء زعماء الحوريين بنى سعير فى أرض آدوم » وبنو لوطان ٠٠ وبنو شوبال وهؤلاء بنو ديشان ٠٠ حمدان واشبان ويتران وكران ٠٠ وهؤلاء بنو ايصر : بلهان وزعوان وعقان ٠٠ الخ ٠

ومن المحتمل أن تكون الاسماء الأولى لأصحاب رئاسات للفروع التى كانت تسمى باسماء آبائها الأولين والثانية لأصحاب رئاسات على مدن خاصة سميت باسماء الفروع ٠

والعبارة تفيد بان هذه القبائل والزعامات كانت موجودة حينما طرأ بنو اسرائيل على منطقة جبل سعير ـ واللمحة العربية القديمة بادية على الأسماء بقوة حيث يسوغ القول بانهم من ارومة عربية الجنس حلت فى جبل سعير قبل القرن العشرين قبل الميلاد وامتد وجودها ونشاطها الى زمن خروج بنى اسرائيل من مصر فى القرن الثالث عشر وبعده ـ ولا سيما أن هذه المنطقة متصلة بجزيرة العرب مباشرة ـ ومن المعقول أن تكون من أول مجالات تموج الجماعات التى كانت تخرج من جزيرة العرب آنا بعد آخر ٠

ولم يذكر العمالقة فى سفر التكوين ، ولكنهم ذكروا فى الأسفار الأخرى بمناسبة ما كان بينهم وبين بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر من أحداث وباسلوب يفيد أن هذا الاسم كان أحيانا يطلق عليهم كوصف للدلالة على ما كان أصحابه عليه من بسطة القامة والجسم كما كان يطلق عليهم وصف آخر لنفس الدلالة ـ وهو الجبابرة ـ وأن منازلهم فى جنوب شرق الأردن مما يلى صحراء سيناء أو النقب ٠٠

وأسماؤهم وأسماء مدنهم تحمل اللمحة العربية بحيث يسوغ القول أيضا انهم من أرومة عربية الجنس حلت فى بعض أنحاء شرق الأردن وصحراء النقب قبل القرن العشرين قبل الميلاد واستمرت بعد ذلك ٠٠ وجاء فى بعض المراجع :

أن اليبوسيين بنوا القدس (أورشليم) سنة ٣٠٠٠ ق٠م وكانت تدعى « يبوس » واليبوسيون أصلا من العرب من صميم الجزيرة أبناء بطون رحلوا مع الكنعانيين نحو الشرق ـ ويقال أن أول من بناها « ملكيصادق » وكان محبا للسلام هادىء الطبع فاطلق عليه « ملك السلام » ومن هنا جاءت تسمية « يبوس » باسم شالم أى سالم ٠

وجاء « سالم اليبوس » ملكا بعده فزاد فى تشييدها وخضع اليبوسيون العرب الى حكم الفراعنة منذ ١٥٥٠ ق٠م ولم يحاول المصريون تمصير مدينة السلام واكتفوا بأخذ الجزية ٠

وخرج بنو اسرائيل من مصر فى عهد رمسيس الثانى ١٢٥٠ ق٠م فاجتاز موسى بهم صحراء سيناء

وتاهوا فيها أربعين عاما وحاولوا الدخول الى أرض الميعاد ، كما سموها ، حتى اذا ما وصلوا الى جبال موآب ـ شرق الاردن توفى موسى وتولى قيادتهم يشوع بن نون فعبر بهم الاردن ١١٨٩ ق٠م واحتل أريحا وبعض بلاد بجوارها ، ومات يشوع ولم يفلح بنو اسرائيل فى التغلب على اليبوسيين ٠ واقتبس العبريون من قوم داود الحضارة من اليبوسيين العرب وسكنوا البيوت وغادروا سكنى الخيام ، واتخذ داود يبوس عاصمة لملكه وجاء سليمان ملكا بعد أبيه فبنى الهيكل سنة ١٠٠٧ ق٠م ٠

واخبار هيكل سليمان ممتزجة بلا شك بالخيال والذكريات والأساطير التى انتشرت فيما بعد فقد جاء فى وصفه ٠٠ ما يلى : ـ

كان طوله ستين ذراعا ، وعرضه عشرين ذراعا ، وارتفاعه مائة ذراع ، وقد ذهب داخله كله بالذهب الخالص ، وبنى داخله هيكلا من خشب الشربين طول كل من طوله وعرضه وسمكه عشرون ذراعا وقد ذهب داخله وخارجه بالذهب الخالص ، ووضع فوقه صورة الشاروبيم ، طول كل واحد منها عشرة أذرع وعرضه خمسة أذرع من ذهب واحد عن يمين الهيكل والآخر عن يساره ، ولكل واحد منهما ستة أجنحة قد مدوها عليه ليغطوه بها ، وحمل التابوت من مدينة صهيون ليصير مكانه داخل هذا البيت ، وجعلوا أمام هذا الهيكل عمودين كبيرين من نحاس طول كل واحد منهما ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة أذرع ، وصنعوا له سترا من القرمز مرصعا بأنواع الجواهر الثمينة الغالية ، وعلق على العمودين فى حذاء الهيكل ، وصنعت مائدة من النحاس يوضع عليها خبز القربان ، مقاس كل من الطول والعرض عشرون ذراعا ، وسمكها عشرة أذرع مذهبة كلها بالذهب الخالص ومحلاة بالجواهر ، وحمل سليمان الى هيكله كل الأوانى من الذهب والفضة والجواهر ٠ ٠

وبنى سليمان لنفسه قصرا ، وشاه بالذهب والفضة بجوار الهيكل وبنى فيه مجلسا للقضاة ، به كرسى ضخم من العاج المنقوش بالذهب والمرصع بالجواهر الثمينة ٠

وقد احتوى الاصحاحان السادس والسابع وصفا للهيكل والقصر ممزوجا بكثير من الخيال والمبالغة وخاصة فى مقادير الذهب التى وضعت فى الهيكل ـ حتى لكأنه سبيكة من الذهب ٠

وقد أطنب الاصحاح السابع فى الأعمال والزخارف النحاسية التى قام بصنعها فنان من صور اسمه حيرام ـ استحضره سليمان خصيصا لذلك ووصفه الاصحاح بانه كان ممتلئا حكمة وفهما ومعرفة فى كل صنعة من النحاس ٠ وجاء كذلك فى الاصحاحات التسعة الأولى من سفر أخبار الأيام الثانى ان حيرام الفنان الصورى لم يكن خبيرا فى أعمال النحاس فقط بل كان كذلك فى أعمال الذهب والفضة والحديد والحجر والخشب والأرجوان والبز والقرمز ، وأن سليمان أحصى الاجانب الذين هم فى أرض اسرائيل فكانوا مائة وخمسين ألفا وثلاثة آلاف وستمائة فجعل منهم سبعين ألف حمال وثمانين ألف قطاع فى الجبل وجعل الباقى مناظرين على الاعمال ـ أى ان الذين سخرهم سليمان لبناء الهيكل بعض النظر عن المبالغة فى عددهم لم يكونوا اسرائيليين كما توهم عبارة الاصحاح الخامس من سفر الملوك الاول ـ بل كانوا من سكان البلاد القدماء ٠ ومما يتبادر الى الذهن أن كثيرا من هؤلاء ولا سيما الشرفون خبراء فى مختلف اشغال البناء وبالتالى فان الفضل الأكبر فى الأعمال البنائية والفنية كان لغير الاسرائيليين وأن هؤلاء لم يكونوا بارعين فيها ٠ أى ان هذا البناء كان بمجهود الذين سخرهم سليمان فى عملية البناء وهم من الأموريين والحيثيين والفرزيين والحويين اليبوسيين ٠

لقد خلا تاريخ اليهود من أى مجد عمرانى وسياسى وعسكرى لامع ولم يكادوا يتركوا فى فلسطين بعد تشردهم النهائى عنها أثرا ما ـ ثم تشتتوا فى أنحاء الارض واندمج كثير منهم فى النصرانية والاسلام والعروبة ٠ واختلطت دماؤهم ودماء من بقى على اليهودية منهم بدماء الاقوام التى عاشوا بينها الى الآن بحيث يصح أن يقال أن الدم الاسرائيلى القديم قد باد ٠ ولم يبق له أثر وأن اليهود اليوم ليسوا الا جماعة دينية تضم شتى الأجناس واللغات والدماء ـ وأن دعوى صلة اليهود اليوم ببنى اسرائيل وتاريخهم على ما فى هذا التاريخ من سوءات زائفة كل الزيف ٠٠

تحسين عبد الحى



العقاد فى ندوته للمواطن السودانى :
سمير محمد خواسك

فى العدد ١٠٦٣ من الرسالة الغراء كتب الأستاذ المهدى الطيب مقالا ذكر فيه أن العقاد كان لايحب مقاطعة آرائه مهما بلغت ، وانه بكلامه اللاذع وبتعبير وجهه الذى جعده مرور الخمسة والسبعين عاما يثبت للمنتدين ذلك •

وارى أن الكاتب قد تأثر ـ قبل ذهابه الى ندوة المفكر الكبير ـ بالاشاعات التى كانت تلفق عليه • وانالا استطيع ان ادلى برأيى فى ندوة لم أحضرها ، ولكن كلام الأستاذ الطيب يوضح مدى تأثره باللافتة المكتوب عليها (ممنوع النقاش) والتى لم يجدها ، فحكم على لهجة العقاد بأنها لم تكن تخلو من الغضب ، وكثيرا ما يكون الحكم على اللهجات انعكاسا لما فى النفوس •

ورأيى أن حكم العقاد على عمرو بن العاص لم يكن الا انصافا للحق والتاريخ ، ولسنا فى حاجة الى ذكر المؤامرات والخدع التى حاكها عمرو فكانت عاملا هاما من عوامل تحطيم وحدة الدولة الاسلامية • ويفهم من كلام الأستاذ الطيب أن العقاد لم يشأ أن يقطع الموضوع الهام ليفسر حديثا لايحتاج الى تفسير ، فلا يجب أن يكون التعميم أساسا لفهم الحديث الشريف ، لانه لايمكن أن نقتدى بجميع صحابة الرسول عليه السلام فى كل شىء مهما اختلفوا ، بل يجب أن نميز بين حق وباطل خاصة اذا كان الخلاف قد وصل الى درجة حرب بين المسلمين ، والا فكيف نقتدى بعمرو وعلى فى وقت واحد وكلاهما من صحابة رسول الله !؟ يقول الدكتور محمود السمرة ان الفقهاء « يرون أن التقليد الأعمى باطل فى الشريعة ، وفى هذا اعزاز للعقل ورفع لشأنه • وقد بلغ بهم الاعتزاز بالعقل حدا ذهبوا فيه الى أن قول الصحابى ليس بحجة ولا يجب تقليده • واعتبر الغزالى قول الصحابى من الاصول الموهومة » •

ولا يفوتنى ـ كقارىء لا يعمل فى الحقل الأدبى ـ أن أوضح رأيى فى أن رجل الفكر والأدب تقع عليه مسئولية قيادة الرأى العام ، وانه لا يتحتم عليه أن يكون محللا فقط ، ثم يقف من الاحداث والقضايا البشرية موقفا سلبيا ، بل عليه أن يبدى رأيه بصراحة بعد التحليل والتوضيح ثم يدافع عنه بايمان وعلم عميق ، وقد كان هذا رأى العقاد وهكذا كان يفعل •

وفى كتاب (الشيوعية والانسانية فى شريعة الاسلام) هاجم المفكر العملاق الشيوعية عن علم وايمان ، وفرق بين المكابر الجاهل والمدافع العالم ؛ ولا ينكر أصدقاء العقاد أو خصومه انه كان من النوع الأخير • والعقاد لم يهاجم الشيوعية فقط كنظام حكم ومذهب بل هاجم جميع أنظمة الحكم الدكتاتورية والمذاهب الالحادية • وآمن العقاد بأن الأدب سلاح ذو حدين قد يخدم الدكتاتوريات وقد يحطمها • ولا أظن أن الأستاذ الطيب يطالب بوجوب الوصاية على الادب والفكر حتى اذا كانت من قبل دكتاتوريات ظالمة ملحدة •

وبديهى أن الأدب ليس فى غنى عن نوع من الرقابة حتى تمنعه من الانحلال أو الانحراف ، ولكن لا يجب أن تصل تلك الرقابة الى درجة تقييده وجعله أداة لهدم العقائد والاديان واحلال المسرح عنها بديلا •

ولقد آمن العقاد ـ رحمه الله ـ بحرية الأدب ولم يقصد أن تصل تلك الحرية الى درجة الفوضوية أو الهجاء الحطيأوى •

« السد .. رمز ارادة »
للشاعر : يس الفيل

.. والى ذرى الايام يصعد جيل   فانشر لواءك .. وانطلق يانيل

اغرق جذور الشك . وامح معالما   درست .. وهدم ما بنى التضليل

واقرأ على من غرروا بك آية   فى مطلع الفتح المبين تقول :

انا فتحنا ، للمناضل فتحنا ....   اقرأ ورتل ما حكى .. جبريل ..

الله ان ينصر .. فليس لنصره   رد .. وان نهض الوجود يحول

اقرأ على الازمان .. ان بارضنا   شعبا .. بارض المعجزات يصول

لم يثنه ليل .. ولم تعصف به   ريح .. ولم يعبث به تنكيل

شعب تحول ، ليس يدرك عزمه   الا رجال .. والرجال قليل

فامنح وسامك للذين تربعوا   قمم القوى ولهم عليك جميل

امنحهمو مهج القلوب تحية   فلقد اتوك وسعيهم مقبول

ليروا سواعدك الفتية حملت   بثمار مجد وصفها سيطول

وانثر كنوز المجد بين يديهمو   فلرب اولاها .. هو التحويل

يا نيل هذا السد .. ليس كما ترى   للماء .. ان يظما ثراك .. يسيل

يانيل .. لا .. فالسد رمز ارادة   طالت وطال بظلها التاويل

حكموا : بانك للزروع مسخر   تروى .. فيرعى فى حماك .. دخيل

والشعب مثلك ضائع ومسخر   ارايت هذا الخسف كيف يزول ؟

ارايتنا والصخر يفتح صدره   لقرى تصول على الردى وتجول

حتاه .. حتى الصخر شارك زحفنا   عبر المصير .. كانه مسئول

فانشد اناشيد الرخاء لامة   صعدت . وتصعد هاهنا وتصول

تصويب : للشاعر محمود غنيم

وقع تحريف فى قصيدتى المنشورة بالعدد ١٠٦٤ من المجلة بعنوان « معجزة السد » ونحن نعيد الابيات المحرفة مصوبة وامام كل بيت رقمه .

٢ ما لسد من صنع بابل الا   وحى شعر من عند هاروت آت

٢٢ نحن لو لم تجد لعمرى صخورا   لابتنينا الخزان بالهامات

٢٣ وحفرنا أنفاقه بالبنان الر   خص أو بالاظافر الناعمات

٢٦ فلق اليم ناصر بعصاه   وعصاه ليست من الحيات

٢٩ وعصا ناصر تقل صوا   بح الاعادى وبيضها المراهفات

٣٨ كم نسفت النجود نجدا فنجدا   وفريت الصفاة بعد الصفاة

٣٩ ملوك المذهب كان فى الصخر امضي   من شفار الفئوس فى اللبنات

٤٧ نحن من غيرة بنينا سجونا   من خدور للخرد الغانيات

٤٨ القوارير تحفظ الراح فيها   وتصان العطور فى الآنيات

وقع فى مقال الدكتور أحمد كمال زكى « مع شعراء الرفض » المنشور فى العدد ٤٦ من المجلة اضطراب فى ترتيب الفقرات اخل بالفكرة العامة ، كما وقعت عدة اخطاء طباعية نرجو ان ننبه القراء اليها .

قصة العدد

الباب الموارب

بقلم سعد حامد

بالرغم من أن اليوم كان من أيام الشتاء الا ان الجو كان صحوا والسماء مشرقة ، ورغم ان الوقت كان غروبا فقد ظل الجو دافئا كأنه يوم من أيام الربيع ...

وغادر « جمال خيرى » بيته فى مصر الجديدة ، وهو يحس بدفء الجو وجمال الحياة .. لم يكن يقصد مكانا ما ، وانما فكر فى أن يركب المترو الى القاهرة ويتجول قليلا فى طرقاتها وقد جلس بعض الوقت فى مشرب شاى اعتاد الجلوس فيه ...

كان «جمال» فى الخامسة والثلاثين من العمر .. طويل القامة .. وسيما .. اعزب .. يحب الجمال ويهيم بالحب ، ويتنقل بقلبه بين النساء كما تتنقل النحلة بين الزهور . كان يعمل موظفا بالحكومة وله ايراد آخر ، وكان انيقا يحرص كثيرا على مظهره ، وكانت وسامته واناقته تنال اعجاب معارفه وأصدقائه وتستهوى قلوب النساء ، وكان يقضى صباحه من الثامنة حتى الثانية فى المصلحة ثم ينطلق ليبدأ جولاته فى عالم الحب ..

كانت كل افكاره وعواطفه تدور حول المرأة ، وكان الحب شغله الشاغل ، وكان يحدث أن يلتقى بفتاة أو بامرأة يجذبه جمالها أو تحرك قلبه فتنتها فيتعلق بها ، ويهيم بها وجدا حتى يتصور أنها كل شىء فى حياته ... ثم تمر الايام ... ويفتر الحب ... ويطوى صفحتها ... ثم يتناساها ... ويبدأ صفحة جديدة فى كتاب حياته ...

لم يتعلم قط من أخطاء الماضى ، ولا من تجاربه المريرة ، وهو ليس جامد الشعور ميت الضمير متبلد القلب يعيش من أجل نزواته فحسب بل احيانا يراوده الحنين الى حياة مستقرة ، والى زوجة تبادله حبا لا يفتر أبدا ، ولكن هذا الحلم الجميل يلمع فى سماء حياته كوميض البرق ثم سرعان ما يختفى ، ويجد نفسه يمضى مع طبعه الحار الذى يشبه طبع الرجل البدائى .

وفى أعماق صدره ترقد ذكريات لا تحصى ..

وأقبل المترو .. وركب جمال .. وامامه كانت تجلس سيدة .

كانت السيدة جميلة أخاذة لكنه لم يستطع أن يحدد مصدر جمالها .. أكان هذا الجمال يشع من وجهها المستدير المورد أو من عينيها العسليتين الواسعتين ذوات الاهداب المصقولة أو من شفتيها المغريتين أو من قوامها الفاتن الذى بدت فتنته وهى جالسة من الثوب الضيق القصير ، وكان يضوع الجو من حولها عطر «الشانل» النفاذ .

كان جمالها غامضا يحرك القلب ، ولم يستطع «جمال» أن يعرف من أين تنبع هذه الفتنة التى تنتشر حولها كالهالة حول القمر ، فاخذ يختلس النظر اليها وافكاره تدور حولها .

كانت تلبس قفازا جلديا أنيقا ، فلم يستطع أن يرى أهناك فى اصبعها خاتم زواج أو خاتم خطبة .. ما أسعد زوجها بها لو كانت زوجة .. ان لها فتنة تدير الرأس وتنفذ الى القلب توا فتجعله يترنح بين الضلوع .. ومن يعلم .. قد تكون فتاة لم تتزوج بعد .. ترى من أين هى قادمة والى أين هى ذاهبة .. هذه اللحظة العابرة هل يسجلها الزمن أن يتساءل هذه انسانة لم يرها من قبل ولن يراها فيما بعد . جمعها القدر فى لحظة عابرة ، والتقت عيونهما فى نظرة خاطفة .. ثم تمضى لشأنها ، ويمضى لشأنه ، ويفترقان الى الابد ، وقد تجمع هذه النظرة بينهما ، وتربطهما بعاطفة قد تستمر حياة كاملة .. يالها من حياة حياتنا هذه .. القدر فيها هو سيد الموقف دائما أبدا .

مرت به لحظات لايعرف مداها ، وهو يرمقها بنظراته بين الفينة والفينة ، وكان المترو يقف فى المحطات ثم يتحرك وهو سابح فى افكاره لايكاد يحس بوقوفه ولا بسيره .. وفجأة .. فى لحظة كلمح البصر وقعت الكارثة .

وجد نفسه ملقى على أرض العربة من عنف الصدمة عقب دوى شديد واصوات تحطيم زجاج وصراخ ..

لم يتحرك من مكانه من فرط احساســـه بالدوار ، وخيل اليه انه فقد وعيه ، ولكن بعد لحظات استطاع أن يتبين ما حدث ·· تلفت حوله في جزع فوجـد بعض الركاب ملقى تحت المقاعد المهشمة ، وبعضهم فاقد الوعي ، وبعضهم جريح تنزف الدماء منـه ، ورأى السيدة التي كانت جالسة امامه ملقاة بجانبه على أرض العربة فاقدة الوعي والدماء تنزف منها ·· لم يصب هو الا بخدوش بسيطة فقام من مكانه كأنه نصف نائم ، وكمن يحلم رأى اناسا كثيرين وسمع أحاديثا متشابكة فهم منها أن قطار المترو اصطدم بقطار آخر كان يقف امامه ·· لم يتمكن السائق من وقف القطار فاصطدم بالقطار الواقف عند اشــارة المرور صدمة عنيفة ، فتهشمت مقدمة المترو وسقط بعض الركاب تحت العجلات ·

وقف في مكانه مبهورا وتعلقت عيناه بالسيدة الفاقدة الوعي ، فاقترب منها واجلسها وأسندها الى صدره وهو يحاول اعادتها الى رشدها ·· تنـاول حقيبة يدها التي كانت ملقاة بجانبها وفتحها لعـله يجد بها زجاجة عطر فوجد بغيته فراح يرش العطر على وجهها ويربت بكفه على خديها ليتبهها ، وبعـد دقائق فتحت عينيها ونظرت حولها كالمذهولة بعينين شاردتين لاتريان شيئا ، ولم تنطق بكلمة ·

وسمع أجراس عربات الانقاذ تقترب عالية ملحة وتصك سمعه ، ورأى عربات الاســـعاف وسيارات المطافيء في المكان ، وبدأت عملية انقاذ الركاب الذين سقطوا تحت العجلات ، والجرحى ، وشرع رجـال الاسعاف يحملون المصابين الى سياراتهم ليمضوا بهم الى المستشفيات ·

واقبل رجل الاسعاف فتعاونا معا على حمل السيدة الى النقالة ، فقد كانت مصابة وكانت تنزف ، وقال له رجل الاسعاف وهو يضع السيدة على النقالة ، لاتخف الاصابة بسيطة ·· زوجتك بخير ·

فتح فمه كالمشدوه ·· اراد أن يقول للرجل ان السيدة ليست زوجته ، ولكن الرجل كان متعجلا ، والزحام حولهما شديد ، والوقت ضيق لا يتســـع للكلام او للتفسير وهنـاك جرحى كثيرون ينتظرون نقلهم الى عربات الاسعاف ، ورجال الانقاذ يهرولون هنا وهناك يحملون المصابين والفضوليون يزحمون المكان ·· لم يستطع أن يقول للرجل انه مخطيء ، وان السيدة ليست زوجته ، واكتفى بأن أغلق فمه ولاذ بالصمت ، ونظر الى السيدة الممددة على النقالة في حزن ، وادرك أن من المروءة ألا يتركها وحيدة ، فتبعها الى عربة الاسعاف ·

وعنـدما وصلت السيارة الى المستشفى حملت السيدة الى حجرة العمليات لتضميد جراحها ، وجلس هو في الردهة الساكنة شارد الفكر محزونا ·

ولما حملوهـــا الى الفراش كانت قد تنبهت لمن حولها ، فتبعها الى الحجرة التي خصصت لها ، وجلس على مقعد بجوار الفراش وهو يشجعها ويخفف عنها ، فقالت له في امتنان :

ـ اشكرك كثيرا على ما سببت لك من متاعب ·· وارجو أن تكمل جميلك وترسل برقية الى زوجي ·· انه يقيم في مقر عمله في بورسعيد ·· وتطلب اليه الحضور وتطمئنه على أنني بخير ·

واعطته عنوان زوجها ·

فقال وهو يشملها بنظرة جمعت مشاعر من الحنين واليأس والحزن :

ـ انني طوع أمرك ·· سأذهب الآن فأرســل البرقية ثم أعود لأطمئن عليك ·

فقالت وهي تنظر اليه في فضول :

ـ اشكرك كثيرا ·· وارجو ألا تتعب نفسك ·· أنا بخير والحمد لله ·

وغادر المستشفى وهو نهب لعواطف شتى ·· هزه كثيرا أن تفكر تلك السيدة في زوجها دون سواه وتطلب حضوره ·· أليس هنا في القاهرة احد من أسرتها أو صديقاتها أو معارفها تدعوه اليها ·· ان زوجها هو أول انسان خطر ببالها في هذه اللحظة · انها تحبه بلا شك ·· تحبه اكثر من أسرتها ، ومن صديقاتها ومن معارفها ·· وتفضله على كل من تعرف من الناس ·· يالها من زوجة ·· ودار في دوامة من الخواطر ·

" المرأة تلك المخلوقة اللطيفة الرقيقة التي طالمـا فتنته واستولت على قلبه ، والتي طالما اتخذها حبيبة او عشيقة تبادله الحب أو تمنحه المتعة ·· لم يفكر جديا أن يتخذها زوجة يوما ما ·· لقد راوده الحنين أحيانا الى حياة مستقرة ، والى زوجة تبادله حبـا لايفتر أبدا لكنه لم يحاول قط أن يخرج هذا الحلم

الى حيز الوجود ٠٠ كان يخشى المرأة ويتصورها دائما متقلبة لعوبا لاتحفظ عهدا أو تعرف معنى الوفاء وكان يخاف الزواج ، ويتصوره قيدا يغلله ، ويقضى على حريته ٠

وارسل البرقية من أقرب مكتب تلغراف ٠٠ ثم عاد الى المستشفى ٠٠ أخبرته الممرضة أن السيدة نائمة بعدان أمر الطبيب باعطائها حقنةمهدئة لتسترد هدوءها ، وان حالتها مطمئنة ، وانه يستطيع ان يعودها في الصباح ٠

وقضى شطرا طويلا من الليل مؤرقا ، ولم تبرح صورة وجهها الجميل مخيلته ، وتصورها وهي راقدة على فراشها في المستشفى وحيدة متألمة في ذلك السكون العميق الغامض الذى يسود جو المستشفيات وعصفت به الهواجس ٠٠ قد تكون حالتها خطيرة ، وقد أخفوا الأمر عنه ، وقد تموت وحيدة على فراش المستشفى لا أحد الى جانبها يواسيها أو يخفف عنها لحظات النزع الاخيرة ، وأحس بالأسى يهصر قلبه ٠

وفي نحو الساعة الثالثة أغفت جفونه ٠٠ ثم استيقظ عند بزوغ الصباح فقام مسرعا ، وارتدى ثيابه واتجه الى المستشفى ٠

وعند باب حجرتها التقى بالممرضة خارجة منه ٠٠ ورقف يسألها ملهوفا :

ـ هل السيدة بخير ؟

فتطلعت اليه باسمة ، وقالت له في رقة :

ـ نعم ٠٠ قضت ليلة هادئة ٠٠ انتظر لحظة من فضلك فسأخبرها بحضورك ٠

وتركته واتجهت الى باب الحجرة وفتحته نصف فتحة ، وسمعها تقول للسيدة وهي واقفة في فتحة الباب :

ـ لقد حضر زوجك ٠

ورأى السيدة تقوم جالسة في فراشها ، وقد أشرق وارتسمت على شفتيها ابتسامة عريضة وسمعها تقول للممرضة كلمات ، وحدس انها تقول لها :

ـ هل حضر زوجي؟ لاريب أن البرقية قد وصلته٠

وفي هذه اللحظة لمحته من خلال الباب الموارب ، والتقت عيناهما ٠٠ وفجأة رأى بسمتها الحلوة المشرقة تغيض ، وبدأ وجهها حزينا جامدا كتمثال لخيبة الامل ٠

فدار على عقبيه ، وانصرف مغادرا المستشفى لايلتفت وراءه ٠

وانطلق في الطرقات ٠٠ يتدفق قلبه بالحنين ٠٠ والشوق ٠٠ الى حياة أخرى ٠

سعد حامد

الدار القومية للطباعة والنشر